غَزوةُ تبوكَ

بينَ المُفسرينَ والمُحدثينِ وكتبِ المَغازي والسِيَرْ

دراسةُ مقارنَةِ



إعداد الأستاذ المساعد الدكتور
مجيد حميد ناصر أحمد الهيتي المشهداني

غَزوةُ تَبوك

بينَ المُفسرينَ والمُحدثينَ وكُتُبِ المَغازِي والسِيَّرْ

دِراسةٌ مُقارِنةٌ



بسم الله الرحمن الرحيم

المشهداني، مجيد حميد ناصر الهيتي، غزوة تبوك بين المفسرين والمحدثين وكتب المغازي والسير دراسة مقارنة، تأليف: مجيد حميد ناصر الهيتي المشهداني، مكتب شمس الأندلس للطباعة والنشر، ط1، بغداد، 2017.

ص 184

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (661) لسنة 2017
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية برقم (16614) لسنة 2016

الإعداد الإلكتروني وتصميم الغلاف والطباعة
في مكتب شمس الأندلس
للطباعة الرقمية والتصميم والنشر
بغداد/الأعظمية
هـ: 07704577071



الطبعة الأولى 2017

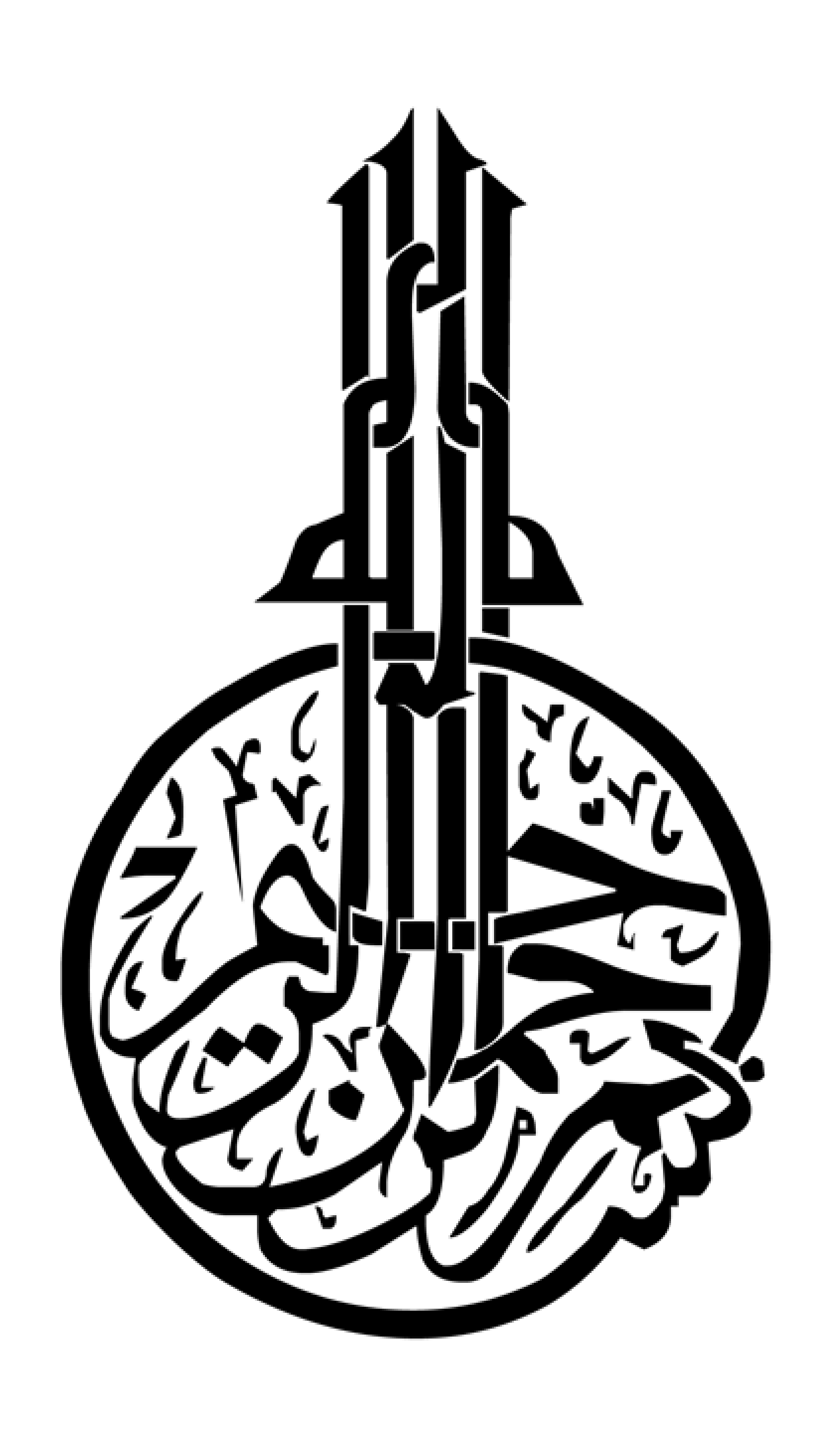
غَزوةُ تَبوك

بينَ المـُفسرينَ والمـُحدثينَ وكُـتُبِ
المـَغازِي والـسِيَّرْ

دِراسةٌّ مُقارِنـةٌّ

إعداد الأستاذ المساعد الدكتور
مجيد حميد ناصر الهيتي المشهداني

مكتب شمس الأندلس
الطبعة الأولى
2017



موقع غزوة تبوك



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ للهِ الذي أنزلَ عَلى عَبدِهِ الكِتابَ ولَمْ يَجعلْ لهُ عِوَجاً، وشَرَّعَ الإسلامَ وجعلَ لهُ طريقاً ومَنهَجاً، وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجاً، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ؛ ويُبدلَهُ بهمهِ فرجاً. هُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى، أرسلَ مُحَمداً إبنُ عبدِ الله بدينِ الهُدى، ليُخرِجَ الناس من الظلمات إلى النور والعُلَى. فأنار به سُبلَ الخير ودَربَ الرشاد، فمَنِ إهتدى بهديه؛ فأولئِكَ عند الله خيرُ العِباد، ومن عصاهُ فحسبهُ جهنمُ ولبِئسَ المِهاد. صلواتُ ربي وسلامهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ أُولِيّ الرأي والسَداد، وبعد:

فإنَّ المُستقرئَ لتاريخ النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، يجدهُ أنهُ جاهدَ وغَزا لأحدِ أمرين: إما رداً للإعتداء، أو حمايةً للدعوةِ الإسلامية.

فلم يَثبُت أن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قد قاتل فيما دون ذلك، لأن الإسلام دين سلام وسماحة، فالقتال في الإسلام مشروع إذا وقع ما يوجبهُ، ولقد وقعت في العهد النبوي عدة غزوات كان لها أبلغ الأثر في التاريخ الإسلامي.

ومن أعظم الغزاوت التي خاضها النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾؛ **غزوةُ تبوك**، فهي أول غزوة يقودها النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قاصداً بها خارج شبه الجزيرة العربية، وآخر غزوةٍ يخوضها حتى توفاهُ الله تعالى. كما أنهُ قد جمع فيها أكبر جيش

تم حشدهُ فبلغ حوالى ثلاثينَ ألفاً، وهو عدد لم يسبق أن إجتمع مثلهُ تحت قيادة الرسول ﷺ.

وقد عانى النبي ﷺ من أجل جمع هذا الجيش أشد المعاناة نظراً للحالة السيئة التي كان عليها المسلمون؛ سواءً المادية أو المعنوية، وبرغم ذلك توجه النبي ﷺ بجيشه لمواجهة أقوى قوةٍ عسكرية على وجهِ الأرض في ذلك الوقت، ولكنها ما أن علمت بخروج الرسول ﷺ والمسلمين لمواجهتها حتى سارعت بالإنسحاب رُعباً وخوفاً؛ مؤثرةً السلامة. فحققَ الرسول ﷺ بذلك أعظم إنتصار معنوي مَهَّدَ لأعظمِ إنتصاراتٍ عسكريةٍ حققها خلفاءهُ على الروم بعدهُ. كما أنهُ ﷺ سجل وهو بتبوك إنتصارات أخرى كان لها الفضل في تعميم وتأمين الدعوة الإسلامية داخل شبه الجزيرة العربية، وذلك بعقدهِ المعاهدات مع أمراء الحدود الشمالية كدومة الجندل وأَذرُح وجَربَاء وأَيْلَة ومَقْنا.

وبغزوة تبوك تمت كلمة ربك، فأقبلت الوفود من كل ناحيةٍ معلنةً إسلامها وطاعتها لمحمد ﷺ، فحققت هذه الغزوة مالم تحققهُ غزوةٌ من قبل.

ونظرا لأهمية غزوة تبوك فقد تناولها المفسرون، والمحدثون؛ من خلال تفسيرهم لسورة التوبة، وقد جاء ذكر الغزوة في أغلب كُتب الحديث، وأغلب كُتُب المغازي والسير، وقد سجلوا أحداثها بالتفصيل.

ومن هنا شَعرتُ بأهمية جمع آراء كُلاً من المُفسرين، والمُحدثين، وكُتُب المغازي والسير، فرأيتُ أن أُعِدَّ كتاباً مُبيناً فيهِ أوجُهَ الإتفاق والإختلاف بينهم، وقمتُ أيضاً بعملِ دراسةٍ تحليليةٍ لبعض المواقف التي حصلت في الغزوة، ولِذلِكَ كان إختياري لموضوع دراستي، والذي أسميتهُ (**غَزوةُ تَبوكٍ بينَ المُفسرينَ والمُحدثينَ وكُتُبِ المَغازي والسِيَّرْ دِراسةٌ مُقارِنةٌ**).

وبعد التوكل على الله تعالى؛ قُمتُ بتقسيم بحثي إلى (**مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة**).

أما الفصل الأول؛ فقد تناولَ (**أسباب غزوة تبوك**)، وقد تَحدثتُ فيه عن زمان وقوع الغزوة ومكانها، وسبب تسميتها بتبوك، والعُسرة، والفاضحة، ثم تناولتُ أسباب الغزوة عند المفسرين، والمحدثين، وكتب المغازي والسير، وأوجه الإتفاق والإختلاف بينهم في ذكرهم لأسباب الغزوة. ثم أوضحتُ خطة الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ العسكرية في هذه الغزوة، وأسباب مبادئه بالزحف على الشام.

وأما الفصل الثاني وهو بعنوان؛ (**المصاعب التي واجهت الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ عند تجهيز الجيش**)، فقد عنيتُ فيهِ بتوضيحِ الحالة التي كان عليها المسلمون، ومدى ما عاناهُ النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ عند تجهيز الجيش؛ وذلك من خلال ما ذكره المفسرون، والمحدثون، وكتب المغازي والسير.

ثم تحدثتُ عن البكائين وإختلاف المفسرين، والمحدثين، وكتب المغازي والسير فيهم، ثم تناولتُ مؤامرات المنافقين ودسائسهم أثناء تجهيزات الجيش، وإعتذارهم عن الخروج، وتخلف زعمائهم كالجد بن قيس، وكذلك مؤامرات اليهود لإفشال الغزو من خلال حادثة بيت سويلم اليهودي، ثم تحدثتُ عن الترتيبات الإدارية للمدينة قبل المسير، لتنظيم شؤونها في فترة غياب الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ حتى تكون الجبهة الداخلية مستقرة.

وأما الفصل الثالث، وهو عن (**مسير الجيش**)، فقد عنيتُ فيه بذكر آراء كُلاً من المفسرين، والمحدثين، وكتب المغازي والسير؛ في عدد الجيش، وأوجه الإتفاق والإختلاف فيه. ثم تحدثتُ عن التنظيم العسكري للجيش قبل المسير، وكذلك موضوع تخلف إبن أُبَيّ وعدد من تخلفوا معهُ، والآراء التي قيلت في ذلك. ثم ذكرتُ بعض الأحداث التي وقعت أثناء مسير الجيش، والتي تدل على مدى ما لاقاهُ النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وأصحابه في مسيرهم من مشاق – عند مرورهم بديار ثمود وديار قوم صالح وحادثة الريح – وغيرها من الأحداث التي ذكرها المحدثون، وكتب المغازي والسير، دون المفسرين، لعدم ذكر القرآن الكريم لها، ثم ذكرتُ المؤامرات للمنافقين أثناء المسير، والتي كانت تهدف إلى الإستهزاء بالرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وأصحابه. كخبر الناقة وغيرها.

وأما الفصل الرابع، وهو (**وصول النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ إلى تبوك**)، فقد تناولتُ فيهِ موضوع خطبة النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بتبوك، والآراء التي قيلت فيها، وكذلك بعض الأحداث التي وقعت أثناء مقامهِ بتبوك، والتي ذكرتها كتب المغازي والسير بالتفصيل، ثم عنيتُ بإبراز موضع تبادل الرسائل بين هِرَقْلَ، والنبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أثناء وجوده بتبوك، وكذلك أسباب إنسحاب الروم والآراء التي قيلت فيها، ثم أشرتُ إلى عقد الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ للمعاهدات مع أمراء الحدود الشمالية، وإرسال خالد بن الوليد رضي الله عنه لفتح دومة الجندل، وإجراء الصلح مع أكيدر بن عبد الملك أمير دومة الجندل، وأهل أَيْلَةَ وأَذْرُحَ وجَرْبَاء ومَقْنَا، وذكرتُ النتائج والإتفاقات التي ترتبت على ذلك.

وأما الفصل الخامس، وهو (**عودة الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ من تبوك إلى المدينة**)، وقد ذكرتُ فيهِ الأحداث التي حصلت للنبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أثناء طريق العودة. وبينتُ فيهِ حديث القرآن الكريم في المخلفين عن الغزوة، وعن مسجد ضِرار. وذكرتُ فيهِ قصة الثلاثة الذينَ خُلِّفُوا.

ثم أنهيتُ دراستي بخاتمة؛ تُلَخِصُ أهم النتائج التي توصلتُ إليها، وذكرتُ فيها الدروس، والفوائد، والعِبَر؛ المأخوذة مِنَ الغزوة.

إنَّ مِنْ من أهم المصادر والمراجع التي إستعنتُ بها – بعدَ الله عزَّ وجل - في هذا البحث؛ كِتاب (المغازي)، للواقدي، المتوفي عام (207هـ)، حيث أمدَّني بمعلوماتٍ وافية عن مختلف جوانب البحث بدايةً من وصول نبأ إستعدادات الروم، ثم المصاعب التي واجهت الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ عند

تجهيز الجيش، وعن الأحداث التي وقعت أثناء مسير الجيش، حتى وصول النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ تبوك، وما وقع أثناء مقامهُ بتبوك من أحداث، وحتى عودته ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ والجيش إلى المدينة، وشأن مسجد الضِرار. وغيرها..

ومن المصادر الهامة التي إستعنتُ بها أيضاً؛ كتاب (الكامل في التاريخ)، لإبن الأثير، المتوفي عام (630هـ)، فقد أمدَّني بمعلوماتٍ هامةٍ عن كيفية تأمين الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ للدولة الإسلامية في قلب شبه الجزيرة العربية من ناحية الشمال، بصلحهِ مع قريش، ومن ناحية الجنوب بقضائهِ على خيبر؛ آخر جيوب اليهود، وكذلك عند الحديث عن وقت خروج الرُسل إلى الملوك والأمراء، وكتاب الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ إلى هِرَقْلَ، والأسباب التي أدت إلى وقوع (غزوة مؤتة)، قبل تبوك.

ومِنَ المصادر القيمة التي إعتمدتُ عليها؛ كتاب (السيرة النبوية لإبن هشام)، المتوفي عام (218هـ)، والذي هَذَّبَ (السيرة النبوية لإبن إسحاق)، المتوفي عام (151هـ)، والذي أفادني عند الحديث عن وقت وقوع غزوة تبوك، وحديث البكائين، ومؤامرات المنافقين، ودسائسهم أثناء السير، وموت ذو البجادين بتبوك. وكذلك عند الحديث عن إذن الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ للمنافقين بالتخلف. وكذلك كتاب (الكشاف للزمخشري)، المتوفي عام (538هـ)، والذي أفادني عند الحديث عن البكائين، وكتاب (تفسير البيضاوي)، المُسمى - أنوار التنزيل وأسرار التأويل -، للبيضاوي، المتوفي عام (791هـ)، والذي أفادني عند الحديث عن محاولةِ قَتلِ النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ مِن قِبلِ المُنافقين في طريق عودتهِ مِنَ الغزو.

ومن المصادر الهامة أيضاً كتاب (جامع البيان عن تأويل آيِّ القرآن)، للطبري، المتوفي عام (310هـ)، والذي زادني بمعلوماتٍ قيمة عن حال المسلمين أثناء الغزوة، وكذلك كتاب (تفسير البحر المحيط)، لأبي حيان، المتوفي عام (754هـ)، والذي أمدني بمعلوماتٍ عن تعداد الجيش.

ومن المصادر القيمة التي إعتمدتُ عليها كتاب (صحيح البخاري)، للإمام البخاري، المتوفي عام (256هـ)، فقد أمدني بمعلوماتٍ هامة عن أحداث الغزوة من خلال الأحاديث الصحيحة التي

تحدثت عن الحالة التي كان عليها المسلمون، من خلال حديث كعب بن مالك عندما حكى قصتهُ هو وصاحبيه حينما تخلفوا عن رسول الله ﴿ﷺ﴾، وكذلك عند مرور النبي ﴿ﷺ﴾ بديار ثمود.

ومن المصادر التي أفادتني كتاب (فتح الباري بشرح صحيح البخاري)، لإبن حجر العسقلاني، المتوفي عام (852هـ)، فقد أمدني بمعلوماتٍ قيمةٍ، وكانَ أكثر تفصيلاً وتوضيحاً في بعض الأحداث التي حصلت في الغزوة.

ومن المصادر القيمة التي إعتمدتُ عليها أيضاً؛ كتاب (صحيح مسلم)، للإمام مسلم، المتوفي عام (261هـ)، فقد أمدني بمعلوماتٍ هامة عن أحداث غزوة مؤتة، وكذلك غزوة تبوك، وسبب تسميتها بهذا الإسم، وكذلك كتاب (المُسند)، للإمام أحمد، المتوفي عام (241هـ)، والذي أفادني عند الحديث عن موضوع تبادل الرسائل بين هِرَقْلَ والرسول ﴿ﷺ﴾ أثناء مقام الرسول ﴿ﷺ﴾ بتبوك.

ومن المصادر الجغرافية التي إستفدتُ منها في التعرف على كثيرٍ من أماكن البلدان وجغرافيتها، كتاب (مُعجم البلدان)، لياقوت الحموي، المتوفي عام (626هـ).

بالإضافة إلى ما تقدم ذكره من المصادر التي إستعنتُ بها، فقد إعتمدتُ على كثيرٍ من المصادر الأخرى؛ أخص بالذكر منها كتاب (أُسدُ الغابة في معرفة الصحابة)، لإبن الأثير، المتوفي عام (630هـ)، والذي أمدني بمعلوماتٍ وافية عن تراجم الصحابة، وكتاب (دلائل النبوة)، للبيهقي، المتوفي عام (458هـ)، وكتاب (جوامع السيرة)، لإبن حزم، المتوفي عام (456هـ)، وكتاب (شرح المواهب)، للزرقاني، المتوفي عام (1099هـ)،

وكتاب (الطبقاتُ الكُبرى)، لإبن سعد، المتوفي عام (230هـ)، وكتاب (سُبل الهُدى والرشاد في سيرة خير العباد)، للصالحي، المتوفي عام (942هـ).

كما كان للمراجع العربية والأجنبية المترجمة نصيبٌ وافرٌ في إثراء البحث ومساعدته على إكمال بعض الجوانب التي لم تفي بها المصادر الأصلية. أذكر منها على سبيل المثال، كتاب (الروم وصِلاتهم بالعرب)، للدكتور أسد رستم، وكتاب (الدولة البيزنطية)، للدكتور السيد الباز العريني، وكتاب (روح الإسلام)، للسيد أمير علي، وكتاب (العلاقات الدولية في الإسلام)، للشيخ محمد أبو زهرة.

وأخيراً أرجوا مِنَ الله تعالى أن يكونَ عملاً لوجههِ خالصاً، ولعِبادهِ نافعاً، وأن يثيبني على كل حرف كتبتهُ، ويجعلهُ في ميزان حسناتي، وأسألهُ أن يوفقني للخير كله، ويُسددني إليهِ، وأن يهديني والمسلمين على صراطِهِ المستقيم. إنهُ على ذلكَ قدير..

سُبحانكَ اللّـهم وبحمدك أشهدُ أن لا إله إلا أنت أستغفرُكَ وأتوبُ إليك

الفقيرُ إلى عفو ربهِ ومغفرتهِ ورضوانهِ

د. مجيد حميد ناصر أحمد الهيتي المشهداني

الفصل الأول

أسباب غزوة تبوك

زمانها:

وقعت غزوة تبوك في رجب سنة تسع[1] من الهجرة النبوية الشريفة (سبتمبر – أكتوبر سنة 630 م)[2]، وبدء التحرك يوم الخميس كما رواهُ البخاري والنسائي عن كعب بن مالك، أنه ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ خرج يوم الخميس في غزوة تبوك، وكان يحب أن يخرج يوم الخميس. وفي رواية للبخاري أيضاً عنه، " فما كان يخرج إذا خرج في سفر إلا يوم الخميس "، وزاد النسائي " جهاد أو غيره " قبل حجة الوداع بلا خِلاف، وعن أبن عباس أنها كانت بعد الطائف بستة أشهر، وليس مُخالِفاً لقول من قال في رجب إذا حذفنا الكسور، لأنه ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ داخل المدينة من رجوعه من الطائف في ذي الحجة[3].

وهذا ما اتفق عليه أغلب المفسرين[4]، والمحدثين[5]، واتفقت معهم كتب المغازي والسير[6]، ولم يشذ عن ذلك من المفسرين إلا القليل؛ قالوا[7]، بأنها كانت سنة عشرة بعد رجوعهم من الطائف، ولذلك نزل قول الحق تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ..} [8]. وقد ذكر ابن القيم أن غزوة الطائف وقعت في شوال سنة ثمان، وخرج رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ إلى الجعرانة، ثم دخل منها مُحرِماً بعمرة فقضى عمرتهُ ثم رجع إلى المدينة[9]. وهذا موافقٌ لما ذكرهُ ابن عائذ عن إبن عباس، أنها كانت بعد الطائف بستة أشهر لأنه ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ دخل المدينة من رجوعهِ من الطائف في ذي الحجة[10].

عن ابن عباس، قال: لبثَ رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بعد خروجه من الطائف بستة أشهر، ثم أمره الله بغزوة تبوك وهي التي ذكر الله ساعة العسرة، وذلك في حرٍ شديد، وقد كثر النفاق[11]. أي أن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ دخل المدينة في نهاية العام الثامن للهجرة، ومكث في المدينة شهر محرم وصفر وربيع الأول وربيع الثاني وجمادى الأولى وجمادى الآخرة، ثم غزا تبوك في رجب.

كما أورد ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، أن ما ذُكِرَ عن البخاري من أنه قد ورد ذكر الغزوة بعد حجة الوداع، أنه خطأ من الناسخ، وأن الغزوة كانت في شهر رجب، سنة تسع، قبل حجة الوداع، بلا خِلاف.

مكانها:

تبوك: وصفها ياقوت الحموي، فقال: "تَبُوك: بالفتح ثم الضم، وواو ساكنة، وكاف: موضع بين وادي القرى والشام، وقيل بركة لأبناء سعد من بني عذرة، وقال أبو زيد: تبوك بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام، وهو حصن به عين ونخل وحائط يُنسب إلى النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، ويقال إن أصحاب الأيكة الذين بُعِثَ إليهم شعيب (عليه السلام)، كانوا فيها ولم يكن شعيب منهم، وإنما كان من مدين، ومدين على بحر القلزم على ست مراحل من تبوك، وتبوك بين جبل حسمى وجبل شرورى، وحسمى غربيها، وشرورى شرقيها"[12].

تسميتها:

سُمِيَّت هذه الغزوة بتبوك، أو العسرة، أو الفاضِحة. وقد اشتهرت بلفظ غزوة تبوك، لقوله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ كما جاء في صحيح مسلم[13] " إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك "، كذا أخرجه أحمد من حديث حذيفة، ولقوله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ للرجلين اللذين سبقاهُ إلى العين " مازلتما تبوكانها ".

قال ابن قتيبة: فبذلك سميت العين تبوك، والبوك كالنقش والحفر[14].

وقال ياقوت: "البوك إدخال اليد في شيء وتحريكه، ومنه باك الحمار الآتان إذا نزا عليها، يبوكه بوكاً"[15].

وجاء في صحيح مسلم[16] عن معاذ " قال: خرجنا مع سول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ عام غزوة تبوك فكان يجمع الصلاة فصلى الظهر والعصر جميعاً والمغرب والعشاء جميعاً. حتى إذا كان يوماً أخر الصلاة. خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً ثم دخل، ثم خرج بعد ذلك فصلى المغرب والعشاء جميعاً، ثم قال: إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتِي، فَجِئناها وقد سبقنا إليها رجلان، والعين مثل الشراك تَبِضُّ بشيءٍ من ماء، قال: فسألهما رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ هل مَسَسْتُما من مائها شيئاً؟ قالا: نعم. فسمعهما النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، وقال لهما: ما شاء الله أن يقول، قال: ثم غَرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً، حتى اجتمع في شيء، قال: فغسل رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ فيه يديه ووجهه ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء منهمر، أو قال غزير. شَكَّ أبو علي أيهما قال، حتى استقى الناس، ثم قال: يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهُنا قد مُلِيءَ جِناناً ".

فأُطلِقَ اللفظ على الموضع الذي فيه العين، وقد قاله النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قبل أن يصلها بيوم[17].

وجاء في تفسير قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ...}. إن عتاب الله للمؤمنين في التثاقل عن النفور في سبيل الله كان في غزوة تبوك[18].

وسماها البعض غزوة العُسْرَة، كالبخاري[19] وغيره. قال الحافظ بمهملتين الأولى مضمومة بعدها سكون، وقد أُخِذَ ذلك الإسم[20] من قوله تعالى {الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ...}[21]. أي في وقت الضيق والشدة. عسرة الظهر، وعسرة الزاد، وعسرة الماء. وكان جيش تبوك يُسمى جيش العُسرة لهذه الأسباب. وقد ذكر ابن إسحاق في مغازيه، أن سول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك في زمان من عُسرة الناس، وشدة من الحرب وجدب من البلاد، وحين طابت الثمار. والناس يحبون المقام في ثمارهم وظِلالهم، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه، وكان رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قلما يخرج في غزوةٍ إلا كنى عنها وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصمُدُ لهُ، إلا ما كان من غزوة تبوك فإنه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان، وكثرة العدو الذي يَصمُدُ لهُ، ليتأهب الناس لذلك أهبته، فأمر الناس بالجهاز[22]. ولم يورِ عنها النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ كعادتهِ في سائر غزواته، فخرجوا في قلة من الظهر، وفي حرٍ شديد، حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء، فكان ذلك عسرة في الماء وفي الظهر وفي النفقة[23].

وتُسمى أيضاً الفاضحة، وذلك لإفتضاح أمر المنافقين فيها[24] بما نزل فيهم من الآيات الدالة على كذبهم، كقولهِ تعالى {وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ}[25].

وجاء في حديث ابن عباس رضي الله عنه، عن سعيد بن جبير، قال: قلتُ لإبن عباس سورة التوبة؟ قال: التوبة هي الفاضحة مازالت تنزل (ومنهم، ومنهم) حتى ظنوا أنها لم تُبقِ أحداً منهم إلا ذُكِرَ فيها[26]. أي فضحت المنافقين وكشفت سترهم. وما كانوا يُخفونهُ من عداءٍ دفين، فكشفهم الله لرسولهِ وللمؤمنين في هذه الغزوة.

أسباب غزوة تبوك عند المُفسرين:

إعتبر الإسلام الناس جميعاً أمة واحدة، وقد صرح القرآن الكريم بهذه الوحدة في آياتٍ كثيرة، وما دام الأصل واحد؛ فالوحدة شاملة.

قال تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[27].

وقال جلَّ في عُلاهُ {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ}[28].

ولو تذكر الناس هذه الحقيقة، لتضاءلت في حسهم كل الفروق الطارئة، التي نشأت في حياتهم متأخرة. ففرقت بين أبناء "النفس" الواحدة. ومزقت وشائج الرحم الواحـدة، والإعتراف بهذه الحقيقة كان كفيلاً بإستبعاد أي نوع من أنواع الصراعات[29].

وقد ذكر القرآن الكريم بأنه لم يكن إختلاف اللغات والألوان بمانع من الوحدة الإنسانية الجامعة، بل إن هذا الإختلاف من سُنن الله تعالى في خلق الإنسان، وآيةٌ من آياتهِ. قال تعالى وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ}[30].

وأن إختلاف الناس شعوباً وقبائل لم يكن ليتقاتلوا ويختلفوا، ولكن ليتعارفوا. قال تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا..[31].

وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض. وقد صرح القرآن الكريم بأن الإختلاف عارضٌ ومنشؤه إختلاف الأهواء، وأن الله سبحانهُ وتعالى أرسل الرسل بالهداية، ليحكموا بأمر الله تعالى في هذا الإختلاف[32]. قال تعالى {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ ..}[33].

وقال تعالى {وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}[34].

ونتيجةً لهذا الإختلاف بين الناس تولدت الحروب التي إعتبرها الإسلام من إغراء الشيطان، ولذلك وضع الله سبحانه وتعالى الأُسس التي يجب أن يسير عليها المسلمون في معاملاتهم.

فقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ[35].

وقال عزَّ مِن قائل {فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً[36].

وقال {وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ[37].

وتدل هذه الآيات على أن الأصل في العلاقات الدولية هو السلم، فإن مالوا إلى المسالمة والمصالحة والمهادنة، فَمِلْ إليها وأقبل منهم ذلك[38].

ومادام الناس أمة واحدة، وأن أساس العلاقات بينهم هو السلام، فكيف دخل المسلمون الحروب؟

لقد فُرِضَ القتالُ على المؤمنين، وقد صرح القرآن الكريم بأنه أمرٌ مكروهٌ لهم. قال تعالى {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ}[39].

قال ابن عباس رضي الله عنه: لما فَرضَ الله الجهاد على المسلمين شق عليهم ذلك وكرهوه[40]. ولكنهُ ضرورة ملزمة إذا وقع ما يوجبه. قال تعالى {وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ}[41].

وقال {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}[42].

تبدأ الآيات بأمر المسلمين بقتال هؤلاء الذين قاتلوهم وما يزالون يقاتلونهم. وبقتال من يقاتلهم في أي وقتٍ وأي مكان، ولكن دون إعتداء. وبلا تجاوز ولا مغالاة، والمسلمون موكولون في هذا إلى تقواهم[43].

وكما ذكرنا سابقاً؛ فإن المُستقرئَ لقتال النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ **يجدهُ لأحد أمرين:**

الأول: دفع الإعتداء.

والثاني: تأمين الدعوة الإسلامية[44].

وقد قسم القرآن الكريم؛ العدو، إلى قسمين:

الأول: مشركي العرب.

قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ[45].

سبحانه وتعالى عَرَّفَهم كيفية الجهاد، بأن يكون الإبتداء بالأقرب فالأقرب من العدو. ولهذا بدأ رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بالعرب، رداً لإعتداءاتهم عليهِ وعلى أصحابه، فلما فرغ قصد الروم[46].

وقال بعض العلماء أن هذه الآية نزلت قبل الأمر بقتال المشركين كافة، فلما نزلت وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً}[47]؛ صارت ناسخة لقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ}.

لكن المحققين من العلماء قالوا: لا وجه للنسخ هنا، لأنه سبحانه وتعالى لما أمرهم بقتال المشركين كافة أرشدهم إلى الطريق الأصوب والأصلح، وهو أن يبدأوا بقتال الأقرب فالأقرب حتى يَصِلوا إلى الأبعد فالأبعد، وبهذا يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لأن قتالهم دفعة واحدة لا يتصور[48].

قال القرطبي: إن معنى وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً}. هو الحث على قتالهم والتحزب عليهم وجمع الكلمة، ثم قيدها بقوله كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً}، فبحسب قتالهم واجتماعهم لنا يكون فرض اجتماعنا لهم[49].

وقد أمر المولى سبحانه وتعالى بقتال مشركي العرب، لوقوع الإعتداء منهم على المسلمين كما سبق ذكره.

قال تعالى {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (*) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ...}[50].

الثاني: أهل الكتاب.

قال تعالى {قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (*) وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (*) اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (*) يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ

وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (*) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}[51].

تقررت بذلك الأحكام النهائية في العلاقات بين المجتمع المسلم والمشركين، وأهل الكتاب، وخاصةً مع النصارى بعد إنحرافهم وتحريفهم لكتابهم. فأمر الله تعالى بقتالهم حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم أذلاء. ومع ذلك نهى الحق سبحانه وتعالى عن إكراههم للدخول في الإسلام، ووضع لذلك قاعدةً إسلاميةً محكمة لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}[52]، برغم ما عليهِ أهل الكتاب بنص الآيات من (شركٍ، وكفرٍ، وباطلٍ)، فكانوا كالذين كفروا من قبل. وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر.

ثانياً: أنهم لا يحرمون ما حرم الله ورسوله.

ثالثاً: أنهم لا يدينون دين الحق.

رابعاً: أن اليهود منهم قالت: عزيرٌ إبنُ الله، وأن النصارى منهم قالت: المسيحُ إبنُ الله. وأنهم في هذين القولين يضاهئون قول الذين كفروا من قبل، سواء من الوثنيين الإغريق، أو الوثنيين الفراعنة، أو غيرهم من الذين كفروا.

خامساً: أنهم إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله كما اتخذوا المسيح رباً. وأنهم بهذا خالفوا ما أُمِروا به من توحيدِ الله والدينونة له وحدهُ، وأنهم لهذا مشركون.

سادساً: أنهم محاربون لدين الله، ويريدون أن يُطفِئوا نور الله بأفواههم، وأنهم لهذا كافرون.

سابعاً: أن كثيراً من أحبارهم ورهبانهم يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله[53].

ومن المعروف أن حُكام الشام كانوا من النصارى المتعصبين، وأنهم بحق تنطبق عليهم هذه الصفات التي ذَكَرَتها الآيات، ويدل على ذلك مواقفهم العدائية من الإسلام والمسلمين، – وهو ما سَتُوضِحهُ كتب المغازي والسير –، وما داموا على هذه الصفات فقد وجب قتالهم، رداً للإعتداء، وحمايةً للدعوة الإسلامية، ثم جعل الله للقتال غاية؛ وهي إعطاء الجزية بدلاً من القتل[54].

والجزية هنا بمثابة إعطاء مُهلة لهم كَي يتعرفوا على الإسلام. عسى أن يهديهم الله. وفي نفس الوقت هي نظير ما يقوم به المسلمون من الدفاع عنهم، وما يتمتعون به من الحقوق أو المرافق العامة للدولة الإسلامية[55].

وقد وضح القرآن الكريم أن مِنَ النصارى، من هم على غير هذه الصفات. قال تعالى {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ (*) وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}[56].

ولذلك وضع القرآن الكريم قاعدةً محكمةً في المعاملات بين المجتمع المسلم وبين جيرانه. قال تعالى {لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}[57].

وهذه القاعدة هي أساس شريعة الإسلام التي تجعل حالة السلم بينهُ وبين الناس جميعاً، هي الحالة الثابتة، لا يغيرها إلا وقوع الإعتداء الحربي، وضرورة رده، أو خوف الخيانة بعد المعاهدة، أو التهديد بالإعتداء، أو الوقوف بالقوة في وجه حرية الدعوة وحرية الإعتقاد، وفيما عدا هذا فهو السلم والمودة والبر والعدل للناس جميعاً[58].

ومما سبق ذكره يتضح، أن المفسرين قد أرجعوا أسباب غزوة تبوك إلى مواقف دولة الروم العِدائية، وتحرشات حكام الشام، وإعتداءاتهم المتكررة على الإسلام والمسلمين، وأبلغ دليل على ذلك، قتلهم لمبعوث النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ في مؤتة، وهو الأمر الذي يوجب قتالهم، وذلك لتأمين وحماية الدعوة الإسلامية، وَرَدّاً للعدوان.

أسباب غزوة تبوك عند المحدثين:

إتفق المحدثون والمفسرون على أن الإسلام نهى عن الإعتداء وأنه دين سلام وسماحة، وقد ورد عن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ الأحاديث الدالة على ذلك.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قال: " لا تمنوا لقاء العدو، فإذا لقيتموهم فأصبروا "[59]. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم، " أن إمرأة وُجِدَت، في بعض مغازي النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ مقتولة، فأنكر رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قتل النساء والصبيان "[60].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قال: " لكل غادرٍ لواء يوم القيامة، يُنصب يوم القيامة يعرف به "[61].

وقد ذكر المحدثون أسباب غزوة تبوك كالآتي:

أولاً: إعتمد إبن حجر العسقلاني في فتح الباري[62] في ذكرهِ لأسباب الغزوة على ما روتهُ بعض كتب المغازي والسير، أمثال طبقات ابن سعد، ومغازي الواقدي وغيرهما. قالوا: بلغ المسلمين من الأنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة، أن الروم جمعت جموعاً، وأجلبت معهم لخم وجذام وغيرهم من متنصرة العرب، وجاءت مقدمتهم إلى البلقاء، فندب النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ الناس إلى الخروج وأعلمهم بجهة غزوهم.

ثانياً: روى الطبراني بسند ضعيف في سببها من حديث عمران بن حصين الخزاعي، قال: كانت نصارى العرب كتبت إلى هِرَقْلَ، أن هذا الرجل الذي خرج يدعي النبوة هلك وأصابتهم سنون –جمع سنة بالفتح- أي قحط، فهلكت أموالهم. فإن كنت تريد أن تلحق دينك فالآن. فبعث رجلاً من عظمائهم يقال له قباذ (وفي رواية الضناد)، وجهز معهُ أربعين ألفاً، فبلغ ذلك النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، ولم يكن للناس قوة –قدرة على الذهاب لتلك الأرض-، لفقد الظهر والنفقة، لا الضعف كما هو ظاهر[63].

وقد ذَكرَت هذه الرواية عن الطبراني؛ العديد من كُتب المغازي والسير[64]، والمفسرين[65]، دون تحقيق، برغم ضعف سندها الذي يبطلها تماماً، ومما يدل أيضاً على ضعف هذه الرواية وبطلانها أنه لم يذكر من هؤلاء النصارى الذين أرسلوا إلى هِرَقْلَ يستعدونهُ على النبي

﴿صلى الله عليه وسلم﴾، وهل كان هِرَقْلَ غافلاً عن أحوال شبه الجزيرة العربية؟ بل على العكس، لقد كانت له عيون تأتيهِ بأخبار المنطقة أولاً بأول، فهو في رعب وقلق منذ أن جاءتهُ رسالة النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾.

ثالثاً: عن عبد الرحمن بن غنم، أن اليهود أتوا رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يوماً فقالوا: يا أبا القاسم إن كنت صادقاً أنك نبي، فالحق بالشام، فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء، فَصَدَّقَ ما قالوا، فغزا تبوك لا يريد إلا الشام، فلما بلغ تبوك، أنزل الله عز وجل وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً }[66]، فأمره الله عز وجل بالرجوع إلى المدينة.

فرجع رسول الله﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ، فأمرهُ جبريل -عليه السلام-، فقال: سل ربك عزَّ وجل، فإن لكل نبيٍ مسألة، وكان جبريل لهُ ناصحاً، وكان رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ لهُ مُطيعاً، فقال: ما تأمرني أن اسأل. فقال: {وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا}. فهذه الآيات نزلت عليهِ في رجعته من تبوك[67].

ورواية البيهقي ضعيفة –برغم أنه قال: إن إسنادهُ حسن مع كونه مرسلاً- للأسباب الآتية:

أ. كيف قال الحافظ أن هذا الحديث حسن، مع قوله في شهر بن حوشب في التقريب " أنه كثير الإرسال والأوهام، وعلمه ونقله لما لهم فيه من المطاعن في تهذيب التهذيب "[68].

ب. أن السيوطي[69] قد صرح بضعف الحديث في أسباب النزول.

ج. من المعروف أن اليهود من سكان المدينة، وهذه الآيات مكية[70]، فكيف أشار اليهود على النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بالخروج إلى الشام.

أسباب غزوة تبوك في كُتُبِ المغازي والسير:

أولاً: ذكرت بعض كُتب المغازي والسير: أن الساقطة، وهم الأنباط، كانوا يقدمون المدينة بالدرمك[71] والزيت في الجاهلية، وبعد أن دخل الإسلام. ولذلك كانت أخبار الشام عند المسلمين كل يوم، لكثرة من يقدم عليهم من الأنباط. فقدمت قادمة فذكروا أن الروم قد جمعت جموعاً

كثيرة بالشام، وأن هِرَقْلَ قد رزق أصحابهُ لسنة، وأجلبت معه لخم، وجذام، وغسان، وعاملة. وزحفوا وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء، وعسكروا بها، وتخلف هِرَقْلَ بحمص، ولم يكن ذلك، إنما ذلك شيء قيل لهم فقالوا؟، ولم يكن عدو أخوف عند المسلمين منهم. وذلك لما عاينوا منهم – إذا كانوا يقدمون عليهم تجاراً – من العَدد والعُدة والكراع[72].

ومعنى ما سبق، أن بعض كتب السير والمغازي ترى أن الروم لم يهموا بالإستعداد لغزو شبه الجزيرة العربية، وذلك بقولهم – ولم يكن ذلك إنما ذلك شيء قيل لهم فقالوه -، وأن الروم استطاعوا أن يخدعوا النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، ولذلك أسرع ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بالإستعداد لغزوهم على أثر شائعة أطلقها الأنباط!. مع أن الحقيقة عكس ذلك، للأسباب الآتية:

أ. إن الله سبحانهُ وتعالى قد عاتب المسلمين على تراخيهم عن نصرة نبيه ﴿صلى الله عليه وسلم﴾. قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ...}. فلو لم يكن الأمر حقيقة، وأن إستعدادات الروم حق، لما عاتب الله المسلمين.

ب. إن عين الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ كانت على المنطقة كلها، خاصة الناحية الشمالية، فكيف يصدق شائعة كالتي أطلقها الأنباط، إن لم يكن الأمر قد وصله من عيونه في هذه الجهة.

ج. إن التاريخ العسكري للنبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يدل على مدى حيطة وحذر النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، فكيف يعرض جيشه للهلاك والمشقة دون التأكد من مقالة الأنباط، ومما جزم بحقيقة إستعدادات الروم من كتب المغازي والسير، كابن سعد وإبن الأثير وغيرهم. قالوا: " بلغ النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أن هِرَقْلَ ملك الروم ومن عنده من متنصرة العرب قد عزموا على قصده "[73].

وقد كانت عين الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ على بلاد العرب جميعاً، حتى لا ينتفض فيها منتفض، وحتى لا يستتب الأمن في ربوعها من أقصاها، إذا اتصل به نبأ من بلاد الروم أنها تُهيىءُ جيوشاً لغزو حدود العرب، غزواً يُنسي الناس إنسحاب العرب الماهر في مؤتة. ويُنسي الناس ذكر العرب، وسلطان المسلمين الزاحف في كل ناحية، ليُتاخِم سلطان الروم في الشام، وسلطان فارس في الحيرة، واتصل به هذا النبأ مجسماً أيَّما تجسيم، فلم يتردد هُنيهةً في تقرير مواجهة هذه القوى بنفسه والقضاء عليها، قضاء يقضي في نفوس سادتها، على كلِ أمل في غزو العرب، أو في التعرض لهم[74].

ثانياً: روت بعض كُتب المغازي والسير، أنهُ لمَّا مَنع الله المشركين من قرب المسجد الحرام في الحج وغيره، قالت قريش لتنقطعَنَّ عنّا المتاجر والأسواق وليذهبنَّ ما كنا نصيب منها، فعوضهم الله بالأمر بقتال أهل الكتاب، كما قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (*) قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}[75].

فعزم ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ على قتال الروم لأنهم أقرب الناس إليه، وأولاهم بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام[76]. وتدل هذه الرواية على أن الهدف من غزوة تبوك كان هدفاً مادياً وهو الحصول على الغنائم من الروم تعويضاً عما كان يجلبه المشركون إلى الحرم في أيام الحج، وهذا مُنافي للهدف الأسمى الذي كان يسعى من أجله الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، وهو نشر الدعوة الإسلامية بالحكمة والموعظة الحسنة. كما أن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بُعِثَ هادياً وليس جابياً.

ثالثاً: عزم النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أن يُرسي العلائق بين الإسلام والنصرانية على دعائم مكينة، وهو لا يقبل مساومة في ترك دعاته أحراراً، يعرضون دينهم على الناس، فإن راقهم دخلوه وإن ساءهم تركوه. فيجب أن تُتاح الفرصة المعقولة لإفهام الجماهير ما تُدعى إليه. أما أن تُقطع أعناق الدُعاة، وتُقام الأسوار الكثيفة في وجوههم فهذا ما يعارضهُ الإسلام بالقوة، ثم أن الروم في الشام ومصر وغيرها من البلدان. قوم غُزاة لا تربطهم بأهل البلاد الأولين إلا صِلات القهر المادي والأدبي، فالذي يعترض زحف الإسلام إلى الشمال. يجب أن يسأل نفسهُ قبل ذلك لِمَ سَكتَ عن زحف الروم إلى الجنوب؟ وعن الطريقة التي يباشرون بها حكم الأقطار المغلوبة على أمرها؟

والمقارنة المنصفة تجعل ما يطلبهُ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ شيئاً لا غُبار عليه. فالعقائد يجب أن تُترك، لتبين عن نفسها، فتجذب الشعوب إليها أو تصرفهم عنها، لكن هذا الطلب قوبِلَ بالرد المسلح، فلا دولة الروم تفتح أبواب المصيدة عن الفرائس التي تضطرب داخل جدرانها، ولا كنيسة الروم ترحب بهذا الجو الجديد. والكنيسة لا تطيق أن يعيش بجانبها رأي يخالفها في الفروع التافهة، فكيف تسمح لدين ينكر سلطة رجالها. دين لا يرى بين العباد وربهم وسائط. وينكر عقيدة الفداء التي ترتكز عليها، لأنهُ يبني الجزاء على عمل الإنسان وحده. فليس للإنسان إلا ما سعى، ولا تَزِرُ وازرةً وزر أخرى. ثم هو ينكر مبدأ الشركة في الألوهية، فليس للعالم إلا ربٌ واحد، يخضع له عيسى وأمه. لذلك رأى

الروم أن يعيدوا الكرة فيضربوا الإسلام ضربةً تردهُ من حيث جاء، وتوصد عليه أبواب الحدود لا يستطيع التسرب منها. وتضمن الكنيسة إنفرادها بالضمير البشري، حتى إذا قرعت أجراسها لم يشب رنينها صدى المؤذن يهتف بتكبير الله وحده، وتوحيده، ويدعو للصلاة، والفلاح. وترامت للنبي ﴿ﷺ﴾ أنباء هذا الإعداد الماكر، وتاريخ النصرانية منذ تولت الحكم يؤكد نية الدول لدى رجال الكهنوت، فلم يرى النبي ﴿ﷺ﴾ بداً من إستنفار المسلمين لملاقاة هذا العدوان المبيت[77].

رابعاً: كان أهم ما حمل النبي ﴿ﷺ﴾ على القيام بهذه الغزوة في هذه الظروف القاسية؛ مواقف دولة الروم العِدائية من الدعوة الإسلامية، ومحاولتها القضاء عليها.

فالروم تربطهم بالجزيرة العربية منذ زمن بعيد مصالح تجارية، ومطامع إقليمية، ومحالفات مع قريش وغيرها، وفوق ذلك كانت متعصبة أشد التعصب للدين المسيحي[78].

والآن وقد سيطر الإسلام على جزيرة العرب؛ إثر إستسلام قريش، أصبح القوة العسكرية ذات الشأن في الجزيرة، ولم تعد هناك قوة تجرؤ على مناهضة المسلمين أو عدائهم أو مواجهتهم، وأصبحت القوة جديرة بحماية ونشر تعاليم الإسلام في الجزيرة. وأدركت بعد أن إستتب الأمر للمسلمين، ان دعوة الإسلام وقد إمتدت إلى ربوع الشام، تمثل خطورة واضحة على مصالحها. وتبدلت نظرة المسؤولين فيها إلى الإسلام والمسلمين. ولم يعودوا بمعزل عن أخباره وأخبارهم. فقد بثوا العيون تأتيهم بالأخبار وتطور الأحداث والأحوال. وأدركوا أن الخطر يوشك أن يقترب، فأخذوا يعدون أنفسهم لِلقائهِ. وقد ظنوا مما لديهم من قوة وعتاد أنهم قادرون على تحطيم هذه القوة العسكرية التي ظهرت في المنطقة، وعلى إيقاف تيار الدعوة الذي بدأ جارفاً قوياً عنيفاً[79].

خامساً: بسيطرة المسلمون على داخل الجزيرة العربية، أَمِنوا على أنفسهم من غدر أعدائهم من جميع الجهات، إلا من الجهة الشمالية؛ حيث توجد بلاد جنوب الشام الخاضعة للروم. لذلك رأى النبي ﴿ﷺ﴾ ضرورة تأمين هذه الجهات الشمالية للحجاز. فكانت غزوة مؤتة التي لم تسفر عن النصر المأمول للمسلمين، ثم جاءت حركة الغزو لهذه الهجمات هذه المرة، عندما بلغَ النبي ﴿ﷺ﴾ أن الروم أعدت جيوشاً ضخمة للقضاء على الإسلام والمسلمين[80].

فغزوة تبوك إمتداد لغزوة مؤتة، وإن لم ينل المسلمون مآربهم من قتل قتلة الرسول الذي بعثهُ رسول الله ﴿ﷺ﴾، إلا أن لغزوة مؤتة[81]؛ نتائج عظيمة، أَجَّلَها إسلام أناس من عرب الشام

أمثال "فروة بن عمرو الجذامي" الذي كان قائداً لأحدى الفرق الرومانية في جيش الروم في مؤتة. لقد عَزَّ عليه أن يُقاتل اخوانه في الجنس، فحق عليه أن يعتز بعروبته على أن يحتز بالروم، وخير له أن يعتنق دين الحق على أن يكون تابعاً لأحبار ورهبان نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فضاق الروم بإسلامه فأتهموه بالخيانة وقتلوه ليكون عبرةً لمن يهم بالدخول في الإسلام. وبذلك وجب قتالهم كما أمر الله سبحانه وتعالى في آياته[82].

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} [83].

والواضح أن الروم بعد غزوة مؤتة قد رأوا أن الدين الجديد يغزو النفوس بأحكامه، ويغزو البلاد برجاله، وأنهم يجب أن يعدوا العدة للقضاء عليه. قبل أن يقضى على دولتهم، فكانوا يستعدون لغزو الإسلام، وما كان النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ليتركهم حتى يغزوهُ. فـ**مَا غُزِيَ قَوْمٌ** فِي **عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا**. وقد رأى النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ الروم يجمعون الجموع وأن قيصر قد أعطى أرزاقهم لسنة. وإن غزو الروم تقوية لبأس العرب الخاضعين للروم في الشام، إذ يجدونهم يتحفزون لرفع النير عنهم، وإخراجهم من سيطرة من يذلهم إلى عز قومهم[84].

وكان الصيف لم ينته، والقيظ في أوائل الخريف يصل إلى درجات تجعله أشد من قيظ الصيف في هذه الصحاري إرهاقاً وقتلاً. ثم إن الشقة من المدينة إلى بلاد الشام طويلة شاقة. تحتاج إلى المؤونة والماء، فلا مفر من أن يُطالع النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ الناس بعزمه السير إلى الروم وقتالهم حتى يأخذوا لذلك عدتهم. ولا مَفرَّ من أن يخالف تقاليده في سابق غزواته؛ حين كان يتوجه في كثير من الأحيان بجيشهِ إلى غير الناحية التي إليها يقصد، تضليلاً للعدو حتى لا يفشوا خبر مسيرته، وأرسل ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ في القبائل جميعاً يدعوها للتهيؤ، لكي تعد أكبر جيش يمكن إعداده[85].

وطلب من أثرياء الصحابة والمسلمين أن يشاركوا بأموالهم في تجهيز هذا الجيش بأقوى عدة وسلاح، حتى يدخلوا الرعب في قلوب الروم، الذين كانوا يعتزون بكثرة عددهم ووفرة سلاحهم، وأراد النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بهذه الغزوة أن يؤكد للروم أن الإسلام والمسلمين لا يُستهان بها، لكي يزيل ما علق في نفوسهم من تقهقر المسلمين في مؤتة[86].

إلا أن التهيؤ لملاقاة الروم جاء في أيام القحط والقيظ على أشده، والسير إليهم يتطلب جُهداً مضنياً، ونفقةً كبيرة، وقتال الروم ليس صِداماً مع قبيلة محدودة العَدد والعُدة، بل هو كفاح مرير مع دولة تبسط سلطانها على جملة قارات، تملك موارد دثرة من الرجال والأموال، على أن أصحاب العقيدة لا ينكصون أمام الصِعاب، والسكوت على تحدي النصارى لهذا الدين ورغبتهم الملحة في

القضاء عليه، تعتبر إنتحاراً وبواراً، فليتحامل المسلمون على أنفسهم، وليواجهوا مستقبلهم بما يفرض من تضحيات وتعديات، وللظروف التي اكتـــنفت إعداد هذا الجيش؛ سُمِيَّ (جيش العُسرة)، والآيات التي أنزلها الله في كتابه، والمتعلقة بغزوة العسرة؛ هي أطول ما نزل في قتال بين المسلمين وخصومهم، وقد بدأت باستنهاض الهِمَم، لرد هجوم المسيحية على الإسلام، وإفهام المسلمين مغبة تقصيرهم في أداء هذه الفريضة، وإشعارهم بأن الله لا يقبل ذرة من تفريط في حماية دينهِ ونصرة نبيهِ، وأن التراجع أمام هذه الصعوبات دون قتال الروم، يعتبر مزلقة إلى الردة والنفاق[87].

قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ (*) إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[88].

وقدر رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ الموقف، وكان أمامهُ حلان لا ثالث لهما، كما روى المؤرخ بودلي:

الأول: أن يدع الروم يتقدمون في الصحراء ثم يقوم بمهاجمتهم في الوقت والمكان اللذين يختارهما.

الثاني: أن يتقدم بقواتهِ إلى حدود بلادهم ويهاجمهم هناك. وقد إستقر رأي رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ على أن يتخذ الحل الثاني، وقرر أن يجمع جيش المسلمين ويجتاز به الصحراء شمالاً؛ حتى يدخل في معركة مصيرية مع الروم، ولكن لماذا أختار رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ الحل الثاني؟

كان الحل الأول سهلاً ويسيراً، فهو يعطي حرية الحركة والمناورة، وفرصة إختيار المكان المناسب للعمليات، ولكنه ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ إختار الحل الثاني لِما لهُ مِن مزايا أخرى عديدة:

1- الهجوم على بلاد العدو يمنح المهاجم ورجاله روحاً قتالية عالية وشجاعة في القتال، وحماسة في مواجهة العدو، ورغبةً في تدمير قواه، وإلحاق الهزيمة به، وهو في ذلك الوقت له تأثير مضاد على قوى العدو المعنوية.

2- القتال على حدود بلاد الشام يُكسِب المسلمين عُمقاً إستراتيجياً يُستَغَل لصالِحِهم في حالة تفوق العدو، فيمكنهم من الإرتداد إلى الخلف لمسافات مناسبة، لإعادة تنظيم وتنسيق القوات، ثم القيام بهجوم مضاد.

3– إن تحرك المسلمين من المدينة إلى حدود الشام، وإجتياز الصحراء؛ هو تدريب عملي لهم على تحمل مشاق التحرك، وصقل لصفات المحارب التي تتطلبها المعركة. وكان رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ على علمٍ مُسبق بأن المسلمين يجتازون الصحراء في المستقبل؛ ميممِّينَ وجوههم تجاه بلاد فارس والروم لمواجهة جيوش الدولتين، وخوض معارك متعددة ضدهما، وقد أراهُ ربهُ يوم الخندق؛ قصور فارس والشام.

4- حين ينشب القتال على حدود بلاد الشام، ستكون أحداث القتال هي محور الحديث بين الناس القاطنين هناك من أعراب وروم، وستكون مبادئ الإسلام وأهدافه وتشريعاته موضوع المناقشة، مما يعطي فرصة لتفهمِهِ، وإدراك أصوله، ومعرفة جوهره. وقد يؤدي ذلك إلى إقتـناع الكثيرين به؛ كدِينٍ يَسعى على تحقيق الخير والعدل للناس كافة؛ فيدخلون فيه.

5- هناك قبائل عربية تعيش على حدود بلاد الشام، تخضع لحكم الروم، وقد أخذت هذه القبائل تقبل على إعتناق الإسلام، وأن الروم تعرضوا لها بالصد والإرهاب، والقتال في منطقة معيشتهم يعزز معنوياتهم، ويدعم إسلامهم ويشجعهم على الإنتفاضة على الروم، وهذا مكسب للإسلام ونصر للمسلمين.

6- وهناك قبائل عربية أخرى منتشرة في أنحاء الصحراء، وهذه القبائل لم تـزل على دينها وعقيدتها، وهي تنظر إلى الإسلام بالحق والحسد والغيرة، ولكنها لا تجد لديها القدرة على مواجهة المسلمين وقتالهم أو الفرصة للنيل منهم. ولعل وجود الجيش الإسلامي في الصحراء، وإنشغالهُ بقتال الروم؛ يمنح هؤلاء الفرصة التي يرجونها، فيكونون حرباً على المسلمين، وعوناً لأعدائهم. لو أن القتال دار فوق الصحراء، وليس على حدود بلاد الروم[89].

وخلاصة القول: أن المفسرين، والمحدثين، وكتب المغازي والسير؛ إتفقوا جميعهم على ثبوت عدوانية الروم، ومحاولاتهم المستمرة للنيل من الإسلام والمسلمين، ولذا وجبَ قتالهم؛ رداً للعدوان، وحمايةً للدعوة الإسلامية. ولذا أرجع المفسرون أسباب الغزوة إلى تشريعٍ إلهيٍ، وهو مشروعية القتال إذا ثبت ما يوجبهُ.

ومن خلال ما سبق ذكرهُ من أسباب يتضح أن السبب الرئيسي لغزوة تبوك ينحصر في مواقف دولة الروم العِدائية من الإسلام والمسلمين، ومنها:

1- التعصب للدين المسيحي، وعدم السماح للدعوة الإسلامية بالدخول إلى بلاد الشام، مخافةَ إنتشارها، وبالتالي؛ ضياع بلاد الشام.

2- التعصب للعنصر الرومي ضد العنصر العربي، وإحتقار شأنهُ، ولذلك كانت نظرتهم للإسلام من خلال نظرتهم للعنصر العربي.

3– المصالح التجارية بين الشام وشبه الجزيرة العربية، وقد إعتبر الروم أن بسيطرة الإسلام على شبه الجزيرة العربية؛ ستفقد الشام مورداً تجارياً هاماً، وبالتالي فلا بُدَّ من القضاء عليه.

4- إعداد هِرَقْلَ للجيوش بغية القضاء على الإسلام، حِفاظاً على مُلكهِ وعلى الشام؛ كجزء هام من إمبراطورية الروم، لأن دخول الإسلام إليها بمثابة زوال السيطرة الرومية عليها.

الفصل الثاني

المصاعب التي واجهت الرسول (صلى الله عليه وسلم) عند تجهيز الجيش

حال المسلمين أثناء تجهيز الجيش:

هل أحوال المسلمون في تلك الفترة كانت تسمح بتجهيز جيش قوي يستطيع الخروج لمقابلة ذلك العدو العنيد الذي غلب الفرس، وأصبح القوة المسيطرة على الشام ومصر؟

لقد صور المفسرون، والمحدثون. وصورت كُتب المغازي والسير؛ تلك الحالة على النحو التالي:

أولاً: المفسرون:

كان من دأب النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا خرج في غزوة أن يوري بغيرها؟ لم تقتضيه المصلحة من الكتمان إلا في هذه الغزوة، فقد صرح بها ليكون الناس على بصيرة، لبعد الشقة[90]، وقلة الزاد والظهر.

قال ابن عباس: لما رجع (صلى الله عليه وسلم) من الطائف، أقام بالمدينة، وأمر بجهاد الروم، وكان ذلك الوقت زمان شدة الحر، وطابت ثمار المدينة وأينعت، واستعظموا غزوة الروم وهابوها، فكان ذلك سبباً لنزول قول الحق؛ معاتباً المؤمنين {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ}.

قال المحققون: إنما إستَثقَل الناس ذلك لوجوهٍ، وهي:

1- شدة الحر.

2- بعد المسافة والحاجة إلى الكثير الزائد على ما جرت به العادة في سائر الغزوات.

3- إدراك الثمار بالمدينة في ذلك الوقت.

4- مهابة عسكر الروم[91].

روى ابن جرير عن مجاهد قال: أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وحُنَين وبعد الطائف، أمرهم بالنفير في الصيف، حين احترقت النخل، وطابت الثمار، واشتهوا الظِلال. وشق عليهم المخرج. قال. فقالوا: منا الثقيل وذو الحاجة والضيعة والشغل والمنتشر به أمره في ذلك كله[92].

وقد كانت حكمة الله في إخراجهم، وهو يعلم أنهم لا يلقون قِتالاً، تمحيص المؤمنين، وخزي المنافقين وفضيحتهم، فيما كانوا يسِرون من الكفر، وتربص الدوائر بالمؤمنين.

ولذلك توعد الله المتثاقلين بالعذاب الأليم، وبإستبدالهم بقوم آخرين خيراً منهم وأطوع، وأنهُ غنيٌ عنهم في نصرة دينه، فهو قادر على الإنتصار من الأعداء بدونهم[93].

قال تعالى {إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[94].

ما كان لهم أن يتعللوا بحجج واهية، ويتركوا دعوة الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ لهم، فبين لهم الحق سبحانه وتعالى كيفية الخروج. قال تعالى {انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}[95].

قال ابن عباس: سرايا متفرقين، نشاط وغير نشاط.

وقال مجاهد: الخفيف: الغني. والثقيل: الفقير.

وقال الحسن: الخفيف: الشاب. والثقيل: الشيخ[96].

وتدل هذه الآية على أن الناس جميعاً أُمِرُوا بالخروج، خفت عليهم الحركة أو ثَقُلَت.

روى أن ابن أم مكتوم جاء إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وقال له: أَعَلَيَّ أن أنفِرْ؟ فقال: نعم. حتى أنزل الله تعالى {لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ}[97].

واختُلِفَ في هذه الآية، فقيل أنها منسوخة بقولهِ {لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى}[98]. وقيل: الناسخ لها قوله تعالى {فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ}[99]. والصحيح أنها ليست منسوخة، والدليل على ذلك، روى ابن عباس عن أبي طلحة، في قوله تعالى {انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً }، قال: شُباناً وكُهولاً، ما سَمِعَ الله عُذرَ أحد، فخرج إلى الشام، فجاهدَ حتى مات رضي الله عنه.

وقال الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزوة، وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له إنك عليل، فقال: إستنفرَ الله الخفيف والثقيل، فإن لم يُمكنني الحرب، كثَّرتُ السواد وحفظتُ المتاع[100].

وليس معنى ما سبق، أن جميع الناس قد تثاقلوا عن الخروج، بل إن أكثر الناس قد سارع إلى تلبية دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى الجهاد.

ويدل على ذلك، عدد الجيش الذي خرج، إذا ما قورِنَ بعدد المسلمين في ذلك الوقت.

ورغم أن ظاهر النداء في الآية {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ }الجمع. إلا أنَّ المراد بالتثاقل هنا عصبة قليلة، ولكنها عظيمة الخطر على جماعة المسلمين، لخطورة الغزوة. فكان النداء للجميع.

ثانياً: المحدثون:

لقد أوضح المحدثون الظروف التي تمت فيها غزوة تبوك، والمصاعب التي واجهت الرسول (صلى الله عليه وسلم) أثناء تجهيز الجيش، وذلك من خلال حديث كعب بن مالك حينما تخلف.

روى البخاري عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: " لم يكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يريد غزوة إلا ورى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة؛ غزاها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حرٍ شديد، واستقبل

سفراً بعيداً، ومفازاً، وعدوا كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجههِ الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد الديوان، قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلاّ ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ، ما لم ينزل فيه وحي الله، وغزا رسول الله تلك الغزوة، حين طابت الثِمار والظِلال، وتجهز ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ والمسلمون معه "[101]. وقد أشار كعب بن مالك في حديثهِ إلى المصاعب التي واجهت الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، كالآتي:

1- ان رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ كان دائماً يتبع سياسة الكتمان في غزواته، إلا في هذه الغزوة، فقد بينها للناس. للأسباب الآتية:

أ- بعد المسافة.

ب- كثرة العدو.

2- كثرة المنافقين.

3- تطلع المسلمين لثمار المدينة وقد نضجت.

4- شدة القيظ.

قال ابن عباس: أمر الله بغزوة تبوك، وهي التي ذكر الله ساعة العُسرة، وذلك في حرٍ شديد. وقد كثر النفاق. وكثر أصحاب الصفة – والصفة بيت كان لأهل الفاقة يجتمعون فيه -. فتأتيهم صدقة النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ والمسلمين، وإذا حضر غزو عمد المسلمون إليهم، فاحتمل الرجل الرجل، أو ما شاء الله يشيعه فجهزوهم غزوا معهم، واحتسبوا عليهم، فأمر رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ المسلمين بالنفقة في سبيل الله والحسبة، فأنفقوا احتساباً، وأنفق رجال غير محتسبين، وحمل رجال من فقراء المسلمين وبقيَّ أُناس، وأفضل ما تصدق به يومئذٍ أحد؛ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه[102]، تصدق بمائتي أوقية، وتصدق عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمائة أوقية. وتصدق عاصم الأنصاري بتسعينَ وسقاً من تمر، وقال عمر ابن الخطاب: يا رسول الله إني لا أرى عبد الرحمن إلا قد احتوب، ما ترك لأهلهِ شيئاً، فسألهُ رسول الله، هل تركت لأهلك شيئاً؟ قال: نعم أكثر مما انفقت وأطيب، قال:

ما وعد الله ورسوله من الرزق والخير[103]. ويدل حديث ابن عباس، على مدى تفاني الصحابة في تجهيز الجيش.

ثالثاً: كُتُب المغازي والسير:

لقد إجتمعَ من الأسباب ما يجعل الرسول (صلى الله عليه وسلم)، أكثر إصراراً على تجهيز جيش قوي يدافع به عن دعوة الحق، وليُثبتَ للروم أنهُ قويٌ رغم كل الصِعاب، شديدٌ لا يخشى ما أعدوهُ من الجيوش للقضاء عليه.

والحقيقة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد لَقِيَّ عَناءً شديداً لإعداد ذلك الجيش، الذي سيزحف بهِ ناحية الشمال، سواء من الناحية المعنوية أو المادية.

تجهيز الجيش معنوياً:

لم تكن حالة الجزيرة العربية في ذلك الوقت، تسمح بإعداد أقل تجريدة عسكرية، فكيف بإعداد جيش قوي يستطيع أن يصمد أمام الروم وحلفائهم.

فقد صور ابن اسحاق في مغازيهِ هذه الحالة فيما روى، قال: "أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم وذلك في زمان من عُسرة الناس، وشدة من الحر، وجدب من البلاد. وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظِلالهم. ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قلَّما يخرج في غزوة إلا كنى عنها، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصمد له. إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنهُ بيَّنها للناس لبعد الشقة، وشدة الزمان، وكثرة العدو الذي يصمد له، ليتأهب الناس لذلك أهبته، وأمر الناس بالجهاز وأخبرهم أنه يريد الروم[104].

فكيف إذن بجيش قويٍ، والحالة هذه عُسرة الناس؛ (شدة القيظ، وجدب البلاد، ونضج الثمار)، أيترك الناس ثمارهم بعدما تطلعوا إليها، ويذهبون للريح والضح[105]. وعدو شديدِ البأس؛ في بلادٍ بعيدة؛ الطريق إليها صحراء قاحلة، لا زرع فيها ولا ماء، نهارها يشوي الوجوه، وليلها يخلعُ القلوب، أم يدفعهم حبهم للرسول (صلى الله عليه وسلم)، وتعلقهم بدين الله إلى الإقبال على دعوته؟ لقد كان في المسلمين يَومَئذٍ من هؤلاء وأولئك. لقد كان فيهم أولئك الذين أقبلوا على الدين بقلوبٍ ممتلئة هدى

ونور. وفيهم من دخل في دين الله رغباً ورهباً، رغباً في مغانم الحرب، ورهباً من هذه القوة التي يخشى سلطانها كل ملك، فأما الأولون فأقبلوا يلبون دعوة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وأما الآخرون فتثاقلوا، وبدوا يلتمسون الأعذار، وهؤلاء هم المنافقون الذين نزلت فيهم سورة التوبة[106].

وأعلن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه يريد الروم، ولم يلتزم سياسة التكتم كما في سائر غزواته؟

ذلك لأنه لم يعد في جزيرة العرب قوة عسكرية معادية للإسلام ذات خطر، تستدعي مثل هذا الحشد العسكري الضخم الذي لم تشهد الجزيرة مثله في العهد النبوي. فمِنَ المؤكد أن الروم قد علموا من جواسيسهم أنهم وحلفاءهم من قضاعة وكلب وغسان هم المقصودون بهذا الحشد. كما أن مصارحة المسلمين بجهة غزوهم، كي لا ينخرط في سلك الجيش، إلا الذي لديه من الإيمان الصادق، ما يجعله يتقبل المشاق والصعاب[107].

فضلاً إلى كل هذه المصاعب، كان هناك عامل قوي مثبط لعزائم المسلمين، ودافعاً للمنافقين كي ينالوا منهم، وهو لقاء مؤتة التي كانت قد فعلت فعلها في النفوس. فقد أرعب العرب أن يقفوا مرة أخرى وجهاً لوجه أمام الروم، ويواجهوا معداتهم وتدريبهم، وقد عالج الرسول (صلى الله عليه وسلم). ذلك بأن نّصَّبَ نفسهُ قائداً على هذه الحملة، لكي يدفع الخوف عن القلوب[108].

تجهيز الجيش مادياً:

كان لا بُدَّ من تحريض القبائل من أجل المساهمة في إعداد الجيش، فبعث إلى أسلم بريدة بن الحصيب، وبعث أبو رُهْم الغفاري إلى قومه، وأبا واقد الليثي في قومه، وخرج أبو الجعد الضمري في قومه بالساحل، وبعث رافع بن مكيث في جهينة، وبعث نعيم بن مسعود في أشجع، وبعث في بني كعب بن عمرو بديل بن ورقاء وعمرو بن سالم وبشر بن سفيان، وبعث في سليم عدة منهم؛ العباس بن مرداس. وحَضَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المسلمين على القتال والجهاد، ورغبهم فيه وأمرهم بالصدقة، فحملوا صدقات كثيرة، فكان أول من حمل أبو بكر الصديق رضي الله عنه، جاء بمالِهِ كله؛ أربعة آلاف درهم، فقال له رسول الله: هل أبقيت شيئا؟ قال: الله ورسوله أعلم، وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله، فقال له رسول الله: هل أبقيت شيئا؟ قال: نعم، نصف ما جئت به، وبلغ عمر ما جاء به أبو بكر، فقال: ما استبقنا إلى الخير قط إلا سبقني إليه. وساهم عدة من الصحابة في

تجهيز الجيش. فمنهم العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه. وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن عُبادة، ومحمد بن مسلمة، وعاصم بن عدي رضي الله عنهم، وجهز عثمان بن عفان رضي الله عنه ثلث ذلك الجيش، فكان من أكثرهم نفقة[109]. وفي رواية للبيهقي، عن عبد الرحمن بن خباب، قال: " شهدت رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وقد حَثَّ على جيش العُسرة، قال: فقام عثمان بن عفان، فقال: يا رسول الله عَلَيَّ مائة بعير بأحلاسها[110] وأقتابها[111] في سبيل الله، قال: ثم حَثَّ على الجيش الثانية. فقام عثمان، قال: يا رسول الله عَلَيَّ مائتي بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله. قال: ثم حَضَّ أو حَثَّ رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ على الجيش الثالثة. فقام عثمان، فقال: يا رسول الله عَلَيَّ ثلاث مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله. قال: فقال: عبد الرحمن أنا شهدت رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وهو يقول على المنبر: ما على عثمان ما عمل بعدها، أو قال: بعد اليوم "[112].

وبذلك يكون عثمان رضي الله عنه، قد جهز عشرة آلاف فارس، وثلاثمائة بعير، وألف دينار. وليس معنى نفقة عثمان رضي الله عنه، أن المسلمين كانوا في ميسرة، وإنما كان الحال على العكس تماماً، وعثمان رضي الله عنه كان من أثرياء قريش قبل الإسلام. فلا غرابة في نفقتهِ الكبيرة هذهِ، ومما يدل على مدى الفقر المادي الذي كان عليه المسلمون، ما رواه محمد بن عمر، قال: وحمل رجال وقويّ أناس دون هؤلاء من هم أضعف منهم. حتى أن الرجل ليأتي بالبعير إلى الرجل والرجلين، ويقول: هذا البعير بيننا نتعقبه. ويأتي الرجل بالنفقة فيعطيها من يخرج حتى كان النساء يبعثن بما يقدرن عليه. وحمل كعب بن عجرة، وواثلة بن الأسقع رضي الله عنه. قال: نادى منادي سول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ في غزوة تبوك، فخرجت إلى أهلي، وقد خرج أول أصحابه، فطفتُ في المدينة أُنادي ألا من يحمل رجلاً ولهُ سهمهُ؟ فإذا شيخ من الأنصار، سماهُ محمد بن عمر؛ كعب بن عجرة. فقال: سهمه على أن تحمله[113] عقبة[114]، وطعامه معنا؟ فقلت: نعم، فقال: سر على بركة الله تعالى، فخرجت مع خير صاحب حتى أفاء الله علينا[115].

البكاؤون:

إنهم رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه، دفعهم إيمانهم إلى ضرورة الخروج للغزو مع رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، ولكن كيف السبيل إلى ذلك، وهم لا يملكون ما يكفيهم أو يحملهم إلى أرض العدو، وهي بعيدة. وقد نَبَّهَ النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أن لا يخرج إلا مُقْوٍ[116]، وعندما لم يجدوا ما يحملهم، ذهبوا إلى النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ عَلَّهُم يَجِدون ما يحملهم عليه، وكان النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ مشغولاً بهموم الجيش وتجهيزه،

والحال حال عُسرة. فقال: لا أجد ما أحملكم عليه، فخرجوا يبكون لأنهم بذلك حُرِموا بسبب العُسرة من نيل شرف الجهاد مع رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، إنه الإيمان الصادق والحب المطلق لله ولرسوله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾.

وقد صور القرآن الكريم تلك القصة التي تدل على أمر هام، وهو وجود عناصر كانت تـتـشوق إلى مشاركة الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ الغزو، حيث كانت قادرة نفسياً وجسدياً على المشاركة، ولكن لفقرها لم تكن قادرة مادياً، وهو على عكس ما كان عليه المنافقون المتخلفون. قال تعالى {وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ}[117].

وقد إختلف المفسرون، والمحدثون، ومعهم كُتب المغازي والسير؛ في شأن البكائين.

أولاً: المفسرون:

ذكر المفسرون العديد من الروايات في شأن البكائين:

1– أن هذه الآية نزلت في العرباض بن سارية، وقيل نزلت في عائذ بن عمرو، وقيل نزلت في بني مقرن، وعلى هذا جمهور المفسرين، وكانوا سبعة أخوة، كلهم صحبوا النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، وليس في الصحابة سبعة غيرهم، وهم: النعمان ومعقل وعقيل وسويد وسنان وسابعٍ لم يسم[118]، وقيل كانوا ستة أخوة فقط[119].

2– البكائين سبعة نفر من بطون شتى، وهم سالم بن عمير من بني عمرو بن عوف، وعُلْبَةَ بن زيد أخو بني حارثة، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب من بني مازن بن النجار، وعمرو بن الحُمام من بني سلمة، وعبد الله بن المغفل المزني، وقيل بل هو عبد الله بن عمرو المزني، وهَرَميّ بن عبد الله أخو بني واقف، وعرباض بن سارية الفزاري، هكذا سماهم أبو عمرو في كتاب الدُرر لهُ[120].

3– قال الحسن نزلت في أبي موسى الأشعري وأصحابه[121]. واستدلوا على ذلك بما رُويَّ في الصحيحين.

ثانياً: المحدثون:

تكلم جمهور المحدثين على أن البكائين هم، أبو موسى الأشعري وأصحابه، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أسأله الحملان لهم، إذ هم معه في جيش العسرة وهي غزوة تبوك. فقلتُ: يا نبيَّ الله إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم، فقال: والله لا أحملكم على شيء ووافقته وهو غضبان ولا أشعر، ورجعت حزيناً من منع النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، ومن مخافة أن يكون النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وجد في نفسه عَلَيَّ فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، فلم أَلبَث إلا سويعة إذ سمعت بلالاً ينادي أين[122] عبد الله بن قيس، فقال: أجب رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يدعوك فلما أتيته. قال: خذ هذين القرينين وهذين القرينين[123] لستة أبعرة ابتاعهن حينئذٍ من سعد. فانطلق بهن إلى أصحابك، فقل: إن الله أو قال: إن رسول الله يحملكم على هؤلاء فاركبوهنَّ، فانطلقت إليهم بهنَّ فقلت: إن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يحملكم على هؤلاء، ولكن والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله حتى لا تظنوا أنِّيّ حدثتكم شيئاً لم يقله رسوله الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، فقالوا لي[124] إنك عندنا لمصدق ولنفعلنَّ ما أحببت. فانطلق أبو موسى بنفرٍ منهم حتى أتوا الذين سمعوا قول رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ منعهُ إياهم، ثم أعطاءهم بعد، فحدثوهم بمثل ما حدثهم به أبو موسى[125].

وقد روى إبن حجر العسقلاني في فتح الباري، عن موسى بن عقبة أنهم من بني مزينة، وعن ابن إسحاق أنهم سبعة نفر سالم بن عمير، وأبو ليلى بن كعب، وعمرو بن الحمام، وعبد الله بن مغفل وقيل بن غنمة. وَعُلَيَّةُ بن زيد، وهرمي بن عبد الله، وعرباض بن سارية، وسلمة بن صخر. قال: فبلغني أن أبا ياسر اليهودي، وقيل: بن يامين جهز أبا ليلى وبن مغفل، وقيل: كان البكائين بنو مقرن السبعة معقل وأخوته[126].

ثالثاً: كُتُب المغازي والسير:

ذكرت كتب المغازي والسير العديد من الروايات في شأن البكائين:

روى الواقدي[127] أنهم سبعة نفر من بطون شتى وهم:

أ. سالم بن عمير من بني عمرو بن عوف[128]. وقد شَهِدَ بدراً. لا إختلاف فيه[129].

ب. هَرمي بن عمرو[130]؛ (عبد الله) من بني واقف. لا إختلاف فيه[131].

ج. عُلْبَةَ بن زيد[132]، (بضم المهملة وسكون اللام وفتح الموحدة وتاء تأنيث)[133] من بني حارثة وهو الذي تصدق بعرضه، وذلك أن رسول الله أمر بالصدقة، فجعل الناس يأتون بها، فجاء عُلْبَةَ، فقال: يا رسول الله ما عندي ما أصَّدَّقُ به، ولكن أتصدقُ بِعِرضِي على من آذاني، فقال: رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قد قَبِلَ الله صدقتك. لا إختلاف فيه[134].

د. أبو ليلى عبد الرحمن بن كعب[135]. لا إختلاف فيه[136].

هـ. عمرو بن عُتبة (عنمة)[137] من بني سلمة (بفتح المهملة والنون والميم وتاء التأنيث)، ذكره بن عقبة وغيره في البكائين وأهل صدر[138].

و. سلمة بن صخر بن بني زريق[139].

ي. عرباض بن سارية السلمي[140]، (بكسر المهملة وسكون الراء وموحدة، فألف معجمة)، إبن سارية السلمي، قديم الإسلام، ومن أهل الصفة. مات بعد السبعين، وهو من البكائين بإتفاق عند الواقدي وابن سعد وابن حزم وأبو عمرو[141].

قال الواقدي[142]: هؤلاء أثبت ما سمعنا. ويقال: عبد الله بن مغفل المزني، وعمرو بن عوف المزني. ويقال: هم بنو مقرن ابن مزينة[143].

وعَدَّ إبن إسحاق[144] من البكائين؛ عمرو بن الحمام بن الجموح[145].

وعبد الله بن المغفل المزني[146]، (بضم الميم وفتح المعجمة والفاء المشددة)، عدَّهُ في البكائين ابن عباس، وابن عقبة.

وروى إبن سعد وغيره عنه، قال: " إنيّ لأحد الرهط الذين ذكر الله، {وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ}[147]. ولما خرج البكاؤون من عند رسول الله، ولم يجدوا عنده ما يحملهم خرجوا يبكون، فلقي يامين بن عمير بن كعب بن شبل النضري أبا ليلى المازني، وعبد الله بن مغفل المزني وهما يبكيان، فقال: ما يبكيكما، قالا جئنا رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما ننفق منه على الخروج، ونحن نكرهُ أن تفوتنا غزوة مع رسول الله، فأعطاهما ناضحاً لهُ فارتحلاه، وزود كل رجل منهما صاعين من تمر. فخرجا مع رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾. وحمل العباس بن عبد

المطلب رضي الله عنه منهم رجلين، وحمل عثمان رضي الله عنه منهم ثلاثة بعد الذي كان جهز من الجيش[148].

وقد ذكر البيهقي[149]، وابن كثير[150]، والصالحي[151]؛ أن البكائين هم: أبو موسى الأشعري وأصحابهُ، وذكروا نص رواية البخاري. ويرجع إختلاف المفسرين والمحدثين وكُتب المغازي والسير إلى تعدد الروايات وعدم دقتها. وكثرة الأحداث وسرعتها في تلك الفترة، ويدل عدم اتفاقهم على عددهم إلى كثرتهم، خاصة وأن القرآن الكريم لم يحدد عددهم، كما حدد الثلاثة الذين خُلِّفُوا.

1– ذكر جمهور المفسرين أن البكائين هم بنو مقرن، وأنهم سبعة أخوة، وليس في الصحابة أخوة غيرهم، وذلك لا يعتبر دليلاً على أنهم البكاؤون وحدهم.

2– ويرى جمهور المحدثين، أنهم أبو موسى الأشعري وأصحابه، ولم يحددوا من هم أصحاب أبو موسى هؤلاء؟ ومن هؤلاء النفر الذين ذهبوا معه للتأكد من حديثه؟ وهل سعد بن عُبادة في وقت كان الصحابة يساهمون بكل غال ونفيس من أجل تجهيز الجيش، كان سيبيع للرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ما أخذهُ أبو موسى منه؟

3– أما جمهور كُتَّاب المغازي والسير، فيرون أنهم نفر من بطون شتى، وقد اتفقوا على أن منهم: (سالم بن عمير، عُلْبَة بن زيد، هَرْمي بن عبد الله، أبو ليلى عبد الرحمن، عرباض بن سارية، عبد الله بن مغفل).

والراجح ما ذهب إليه كُتَّاب المغازي والسير، وهو ما أشارت إليهِ الأحداث، كما أن بعض المفسرين والمحدثين قد استندوا في حديثهم إلى ما رواهُ كُتَّاب المغازي والسير.

ومما سبق يتضح إتفاق المفسرين، والمحدثين، وكُتَّاب المغازي والسير؛ على الآتي:

1– أن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قد لَقيَّ عناءً شديداً من أجل تجهيز جيش تبوك، وذلك للأسباب الآتية:

أ. تأثر المسلمين المعنوي من غزوة مؤتة.

ب. كثرة عدد الروم.

ج. الظروف الإقتصادية والمناخية التي عاشتها شبه الجزيرة العربية في ذلك الوقت.

2- المصاعب الإقتصادية لم تكن بسب قحط أو جفاف أصاب شبه الجزيرة العربية، وإنما تزامن تجهيز الجيش مع قرب نضج ثمار المدينة، وحاجة الناس إلى الكثير الزائد عمَّا سبق من غزوات، وذلك لبعد العدو، وهو الذي أظهر هذه المصاعب.

3- كثرة عدد المسلمين الذين خرجوا مع رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، وقلة المتخلفين.

كما يدل اتفاق المفسرين والمحدثين وكُتَّاب المغازي والسير على أمرين هامين:

أولاً: ان المسلمين برغم ما سبق غزوة تبوك من غزوات وسرايا وبعوث، لم يجتمع لديهم من المال ما يسمح بتجهيز جيش تبوك بسهولة ويُسر، مما يدل على أن هدف المسلمين فيما سبق كان رفع راية التوحيد، وليس لأجل جمع المال.

ثانياً: ان جيش العسرة لم يكن من القوة التي تسمح له بقتال الروم. وإنما كان من عادة المسلمين الإعتماد على قوة العقيدة ونصر الله.

مؤامرات المنافقين ودسائسهم أثناء تجهيز الجيش:

لقد صاغ القرآن الكريم، أحوال المنافقين ودساتهم لإفشال الغزو، وكشف سترهم للمؤمنين، وبين ما هُم عليه من كفر ونفاق ونية خبيثة؛ تعمل على ألاّ تعلو راية الإسلام. من أجل هذا إندسوا في صفوف المسلمين بإسم الإسلام، بعد أن غلب وظهر. فرأى هؤلاء أن حب السلامة وحب الحياة يقتضيان أن يحنوا رؤوسهم للإسلام وأن يكيدوا له داخل الصفوف، بعد أن تعذر عليهم أن يكيدوا له خارج الصفوف، إلا أن الحق سبحانه وتعالى كان لهم بالمرصاد، فكشفهم على رؤوس العِباد.

وقد شرح المفسرون، وكُتّاب المغازي والسير هذه المؤامرات على النحو التالي:

أولاً: المفسرون:

إعتذار المنافقين عن الخروج:

في الوقت الذي كان فيه رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ في أشد الحاجة إلى المساعدة لتجهيز الجيش، جاء إليه المنافقون يحلفون بالله انهم لا يستطيعون الخروج، فأخذ رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بظواهرهم وترك سرائرهم لله، فكشف الحق سبحانه وتعالى كذبهم، والهدف الذي يسعون وراءه.

قال تعالى {لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}[152].

قال ابن عباس: غنيمة قريبة لجاءوا معك، ولكن بعدت عليهم المسافة إلى الشام[153].

وبعد حلفهم وإنتحال شتى الأعذار، أَذِنَ لهم رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بالقعود عن الغزو، فعاتبهُ الله على ذلك.

قال تعالى {عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ}[154].

لقد توارى المتخلفون خلف إذن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ لهم بالقعود، حين قدموا له المحاذير الكاذبة، ولو لم يأذن لهم لظهر نفاقهم للناس، لأنهم كانوا سيتخلفون حتى ولو لم يأذن لهم[155].

وقد إنقسم المفسرون إلى فريقين في تفسيرهم لإذن الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ للمنافقين بالتخلف.

الفريق الأول: قال الزمخشري، وتابعه البيضاوي: أن قوله تعالى {عَفَا اللَّهُ عَنكَ} كناية عن الجناية، لأن العفو رادف لها، ومعناهُ أخطأت وبئس ما فعلت. و لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ }بيان لِما كنى عنه بالعفو، ومعناه مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين إستأذنوك، واعتلوا لك بعللهم. وهلّا إستأنيت بالإذن {حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ }مَن صدقَ في عذره ممن كذب فيه. قال قتادة وعمر ابن ميمون: " إثنان فعلهما رسول الله لم يؤمر بشيءٍ فيهما، اذنهُ للمنافقين، وأخذهُ الفداء من الأسارى[156]، فعاتبه الله "[157].

الفريق الثاني: لقد بالغ الزمخشري في رأيه وذهب بعيداً. ولذلك كان لا بُدَّ من الرد عليه من بعض المفسرين، لإحقاق الحق، كالآتي:

1– عدم التسليم بأن قوله تعالى {عَفَا اللَّهُ عَنكَ }يوجب صدور الذنب، بل إن ذلك إنما يدل على المبالغة في التعظيم والتوفير، فهو كما يقول الرجل لغيره إذا كان معناها –عفا الله عنك ما صنعت في أمري– أو -رضي الله عنك ما جوابك عن كلامي– أو -عافاك الله وغفر لك–. كل هذه الألفاظ إبتداء الكلام وافتتاحهُ تدل على تعظيم المُخاطب به.

2– أنه لا يجوز أن يكون المراد بقوله لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ } الإنكار عليه وبيانه، إما أن يكون قد صدر عنه الذنب في هذه الواقعة أم لا، فإن كان قد صدر عنه ذنب. فذكر الذنب بعد العفو لا يليق. فقوله {عَفَا اللَّهُ عَنكَ }يدل على حصول العفو، وبعد حصول العفو يستحيل أنه يتوجه الإنكار عليه، وإن لم يكن قد صدر عنه ذنب امتنع الإنكار عليه، فثبت بهذا أن الإنكار يمتنع في حقه ﴿صلى الله عليه وسلم﴾[158].

قال سفيان بن عيينه: انظر إلى هذا اللطف، بدأ بالعفو قبل ذلك المعفو. ولقد أخطأ وأساء الأدب، وبئسما فعل فيما قال وكتب، من زعم أن الكلام كناية عن الجناية، وأن معناهُ أخطأت وبِئسما فعلت. هي أنه كناية أليس إيثارها على التصريح بالجناية للتلطيف في الخطاب، والتخفيف في العتاب. وهي أن العفو مستلزم للخطأ، فهل هو مستلزم لكونه من القبح واستتباع اللائمة؟ بحيث يصحح هذه المرتبة من المشافهة بالسوء، أو يسوغ إنشاء الإستقباح بكلمة (بِئسَما) المنبتة عن بلوغ القبح، إلى رتبة يتعجب منها، ولا يخفى أنه لم يكن في خروجهم مصلحة للدين أو منفعة للمسلمين، بل كان فساداً وخبالاً، حسبما نطق به قوله عزَّ وجل {لَوْ خَرَجُواْ}، وقد كرههُ سبحانه وتعالى، كما يفصح عنهُ قوله تعالى {وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ}، نعم كان الأولى تأخير الإذن حتى يظهر كذبهم أثراً ذا أثر، ويفتضحوا على رؤوس الأشهاد، ولا يتمكنوا من التمتع بالعيش، ولا يتسنى لهم الإبتهاج فيما بينهم بأنهم غروهُ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، وأرضوهُ بالأكاذيب، على أنه لم يهنأ لهم العيش، ولا قرت لهم عين. إذا لم يكونوا على أمن وإطمئنان، بل كانوا على خوف من ظهور أمرهم وقد كان[159].

زعم الفريق الأول أن إذن الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ للمنافقين، قد فوت مصلحة كبيرة، وهو ما ثبتَ عكسهُ في سياق الآيات التالية، وأيدهُ ما حدث

أثناء الغزوة من مؤامرات، مثل: (مقالة زيد بن اللصيت، مقالة الجلاس بن سويد، ومحاولة قتل النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ في العقبة). إذن فخروجهم كان وبالاً وخبالاً على الجيش. ولذلك كَرِهَ الله انبعاثهم، وهو ما إستشعرهُ رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، وذلك لسابقة أفعالهم وأعمالهم الخبيثة، مثل: (حادثة الإفك، وغزوة أُحُد، وغيرها)، فالرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ كان يعرفهم جيداً، ولكنهُ لم يُرِد أن يشغل بالهُ بالمنافقين، حتى لا تَـتَشتـَتْ الجبهة الداخلية، فقَبِلَ ظواهرهم، وترك سرائرهم لله. ولذلك كان رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ على صواب في إذنه لهم بالقعود، وهذهِ هي المصلحة الكبيرة. وتدل الآيات التالية على صحة وصواب الرأي الثاني.

قال تعالى {إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (*) وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ (*) لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (*) لَقَدِ

ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ[160].

ولِما هم عليه كَرِهَ الله خروجهم معكم إلى الغزوة، لأنهم جبناء مخذولون، ولأن من عادتهم السعي بالفتنة بينكم، ولأن منكم من يستعذب حديثهم[161]، أمثال (رفاعة بن النبوت، وأوس بن قيظي، وعبد الله بن نبتل، وعبد الله بن أُبَيّ بن سلول)[162]. فتذكر ما فعلوهُ معك يوم أُحُد حين إنصرفَ بن أُبَيّ بمن معه ومكروا بك، لكن الله نصركم وعلا شرعه، على رغمٍ منهم[163].

وقد قدر بعض المفسرين عدد المنافقين بتسعةٍ وثلاثين رجلاً[164]، وقدر آخرون عدد المنافقين بثلاثمائة، والمنافقات مائة وسبعين[165]، ولا تعارض بين الرأيين، حيث من الممكن أن يكون العدد الأول بالمدينة فقط، أما العدد الثاني فالمقصود بهِ جميع المنافقين بالمدينة وما حولها.

نفقة المنافقين:

بيَّنَ الحق سبحانه وتعالى، أنه لن يقبل نفقة هؤلاء المنافقين؛ سواء كانوا طائعين أو كارهين، وبيَّنَ سبب ذلك، فقال تعالى {قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (*) وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ}[166].

ويرجع عدم قبول نفقاتهم إلى ثلاثة أفعال هي:

1– الكفر. 2– لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى، وليست إلا رياءً للناس. 3– انهم لا ينفقون أموالهم إلا وهم كارهون[167].

روى ابن جرير عن عباس، أن هذه الآية نزلت في الجد بن قيس، لقوله للرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ "أعينك بمالي"[168].

وقد نبَّهَ الحق تعالى؛ رسوله الكريم ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ لذلك، قال تعالى {فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ}[169].

وتدل هذه الآيات، على أن بعض المنافقين قد ساهم في تجهيز الجيش، وقد قَبِلَ رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ نفقتهم أَخْذاً بظواهرهم، ولم يقبلها الحق سبحانه وتعالى، لأنه مُطّلِعٌ على سرائرهم. وقد ضَربَ اللهُ مثلاً على ذلك؛ بالجد بن قيس. قال تعالى {وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ}[170].

أي إئذن لي بالتخلف ولا توقعني في الفتنة، ولكن أعينك بمالي[171]، يقول تعالى لنبيهِ، قل يا محمد لهؤلاء المنافقين، أنفقوا كيف شئتم أموالكم في سفركم هذا أو غيره، وعلى أي حال شئتم من حال الطوع أو الكره، فلن يتقبل منكم[172].

المخلفون من المنافقين:

لم يقتصر أمر المنافقين على تخلفهم هم فقط، بل إلى ما هو أخطر من ذلك، وهو تثبيط الناس عن الخروج، متخذين من حرارة الجو وشدة القيظ سبباً، ونسوا أن نار جهنم أشدُ حراً جزاء كراهتهم الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله، فأعد لهم جهنم وبئس المصير[173].

قال تعالى {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ}[174].

فإن ردّكَ الله من غزوتك إلى طائفة المنافقين هؤلاء، فقل لهم لن تخرجوا معي، لأنكم جبناء مخذولون، رضيتم بالقعود مع النساء والصبيان وغيرهم من الخالفين، قال تعالى {فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ}[175].

وإنما قال الحق سبحانه وتعالى طَآئِفَةٍ، لأنهُ ليس كل من تخلف عن الغزو كان منافقاً، بل كان فيهم المعذور حقاً. ومَن لا عُذرَ لهُ؛ ثم عفا الله عنهُ؛ كالثلاثة الذين خُلِّفُوا، فالمقصود بالطائفة ـالمنافقون فقطـ[176].

ومن زعماء المنافقين الذين كان لهم دوراً كبيراً في تثبيط الناس (عبد الله بن أُبَيّ، والجد بن قيس، ومعتب بن قشير).

ثانياً: كُتُب المغازي والسير:

كان الجو الذي يتم فيه التجهيز لإعداد الجيش مَليئاً بالصِعاب؟ ومن أخطر هذه الصِعاب، طائفة المنافقين المنتسبة إلى الإسلام، والمحسوبة على المسلمين، والتي ساءها ما رأت من شوكة حربية عظيمة، لم يكن للمسلمين مثلها منذ بزغت شمس الإسلام. فحاولت هذه العناصر الخبيثة تثبيط الهِمَم، وتفريق الكلمة، وإحداث البلبلة، والتشويش بين مختلف فئات المسلمين، كي يعجز الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ عن حشد الجيش المطلوب فيفشل الغزو، لكن الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قد فطن لتحركات المنافقين المشبوهة داخل الصفوف وبين الناس.

وقد ذكر كُتَّاب المغازي والسير العديد من هذه الحوادث الخطيرة، والتي يُعاقب عليها في الوقت الحاضر بالإعدام، لأنها خيانةً عُظمى، لكن الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ لم يعبأ بهم، بل تركهم يموتون

بغيظهم. وكانت حِكمَة الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ في تَركِهم، أن الغزو بعيد ويحتاج إلى من يثبت الإيمان في قلوبهم، فيصبروا على مشاق الغزو، أما هؤلاء فلا خير فيهم، ومن أمثال هؤلاء الجد بن قيس.

تخلف الجد بن قيس:

كان الجد بن قيس زعيماً لبني سلمة، ولذلك كان دوره خطيراً، فهو رجل كثير المال، بالإضافة إلى سمع وطاعة بني سلمة كزعيم وكبير لهم، فكانت خطورته أنه منافق، وسيعمل جاهداً على تثبيط بني سلمة عن الخروج، وقد ظهر ذلك بالفعل، عندما كان الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يحث الناس على الخروج.

ذكر الواقدي، أن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قال للجد ابن قيس: أبا وهيب هل لك العام تخرج معنا لعلك تحتقب[177] من بنات الأصفر[178]؟ فقال الجد: أو تأذن لي ولا تفتني؟ فوالله لقد عرف قومي ما أحد أشد عجباً بالنساء مني. واني لأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا أصبر عنهنَّ. فاعترض عنه رسول الله. فجاءه ابنهُ عبد الله بن الجد وكان بدرياً[179]، وهو أخو معاذ بن جبل لأمه، فقال لأبيهِ لِمَ تَرُد على رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ مقالته؟ فوالله ما في بني سلمة أكثر مالاً منك، ولا تخرج ولا تحمل أحداً. قال: يابُني مالي والخروج في الريح والعُسرة إلى بني الأصفر؟ والله ما آمن خوفاً من بني الأصفر، وإني في منزلي بخُربي، فأذهب إليهم فأغزوهم، وإني والله يا بُني عالمٌ بالدوائر، فأغلظ له ابنه، فقال: لا والله ولكنه النفاق، والله لينزلنَّ على رسول الله فيكَ قرآن يقرأونه. قال: فرفع نعلهُ فضرب بها وجههُ، فانصرفَ إبنهُ ولم يكلمهُ، وجعل الخبيث يُثبط قومه، وقال لجبار بن صخر ونفر معه من بني سلمة، لا تنفروا في الحر، فأنزل الله فيه ما سبق ذكره من القرآن. فجاءَ إليهِ إبنهُ، فقال له: ألم أقل لك أنهُ سوف ينزلُ فيكَ قرآن يقرأه المسلمون؟ فقال له الجد: أسكت عني يا لُكَع[180]، والله لا أنفعك بنافعةٍ أبداً، والله لأنتَ أَشدَّ عَليَّ من محمد[181]، ومات الجد بن قيس في خلافة عثمان[182].

مؤامرات اليهود:

لقد إستطاع الإسلام أن يقهرَ اليهود في شبه الجزيرة العربية ويدحرهم، ولم يبقَّ منهم إلا شرذمة[183] قليلة هنا وهناك، فوجدوا في تجهيز الجيش فرصةً لتثبيط الناس عن الخروج للحيلولة

دون تجهيز الجيش، وذلك كضرب من ضروب الإنتقام. فاتخذوا من بيت سويلم اليهودي قاعدةً لتنطلق منها سهامهم المسمومة، ولِتُدَبَّر فيه المؤامرات الدنيئة للنيل من الإسلام والمسلمين.

قال ابن هشام: حدثني الثقة عمَّن حدثهُ، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة عن جده، قال: بلغ رسول الله ﴿ﷺ﴾ أن أُناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي، وكان بيتهُ عند جاسوم[184]، يثبطون الناس عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ في غزوة تبوك. فبعثَ إليهم النبي ﴿ﷺ﴾ طلحة بن عُبيد الله في نفرٍ من أصحابهِ، وأمرهُ أن يحرق عليهم بيت سويلم، ففعل طلحة. فاقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت فانكسرت رجله، واقتحم أصحابهُ، وكان فيهم ابن أبيرق[185].

الإستخلاف على المدينة:

اختلفت الآراء حول الذي إستخلفهُ رسول الله ﴿ﷺ﴾ على المدينة:

الرأي الأول: قال ابن هشام[186]، والواقدي[187]، وابن سعد[188]، والبيهقي[189]، أن النبي ﴿ﷺ﴾ إستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري[190].

الرأي الثاني: قال عبد العزيز محمد الدارودي عن أبيه[191]، والطبري[192]، أن النبي ﴿ﷺ﴾ قد إستعمل سباع بن عرفطة[193] أخا بني غفار على المدينة.

الرأي الثالث[194]: أنهُ إستعمل إبن أم مكتوم.[195]

وقد قال صاحب شرح المواهب بصحتها جميعاً. حيثُ جعلَ علياً على أهلهِ كما تقدم، وابن مسلمة على المدينة، وابن أم مكتوم على الصلاة، وسباع أولاً، ثم عرض ما منعهُ، فاستخلف ابن مسلمة[196].

والراجح؛ أنهُ ﴿ﷺ﴾ إستخلف على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري، لأنه لم يتخلف عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ إلا في تبوك. واللهُ تعالى أعلم.

الفصل الثالث
مسير الجيش

بعد أن تكاملت حشود الجيش الإسلامي في المدينة، وتم تجهيزهُ تجهيزاً كاملاً، عسكر رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بثنية الوداع[197]، ومعهُ أكبر جيش تمَّ حشدهُ في منطقة شبه الجزيرة العربية في ذلك الوقت.

ولقد إختلف المفسرون، والمحدثون، وكُتَّاب المغازي والسير؛ في تقدير عدد الجيش كالآتي:

أولاً: المفسرون:

تعددت روايات المفسرين حول عدد الذين غزوا تبوك مع رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، وهم مع ذلك يُجمِعون على أن الحال كان حال عُسرة شديدة.

1– يذكر أبو حيان في البحر المحيط، أن عدد الذين غزوا تبوك كانوا عشرين ألفاً من راكب وراجل[198].

2– أما صاحب فتح البيان، فيقول: في قوله تعالى{ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ}[199] أن بعض العلماء ذكروا أن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ سار إلى تبوك في سبعين ألفاً - ما بين راكبٍ وماشي – من المهاجرين والأنصار وغيرهم من سائر القبائل[200].

وهناك فرق كبير بين الروايتين من حيث العدد.

فرواية أبو حيان ربما قد سقط منها عدد الفرسان (عشرة آلاف)، فلم تذكر سوى عدد المشاة، وركبان الإبل –الهجانة- عشرين ألفاً، أما رواية صديق حسن خان ففيها مبالغة. ويدل على ذلك ما سبق تبوك من غزوات. فليس من المعقول أن يقفز العدد من عشرة آلاف في فتح مكة التي سبقت تبوك بعام إلى سبعين ألف في تبوك!.

ثانياً: المحدثون:

يرجع المحدثون الإختلاف في عدد الجيش، لعدم وجود ديوان يجمع الناس. ويدل على ذلك؛ حديث كعب بن مالك، قال: " والمسلمون مع رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ كثير لا يجمعهم كتاب حافظ –يريد الديوان–، فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظنَّ أنهُ سيَخفى له، ما لم ينزل فيهِ وحيُ الله "[201].

وقد فصَّلَ إبن حجر العسقلاني؛ الآراء التي قيلت في عدد الجيش، فقال: " ولا يجمعهم كتاب حافظ "، وفي رواية معقل: " يزيدون على عشرة آلاف، ولا يجمعهم ديوان حافظ ". وللحاكم في الإكليل من حديث معاذ: " خرجنا مع رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ إلى غزوة تبوك، زيادة على ثلاثين ألفاً ". وبهذا العدد جزم بن إسحاق، وأوردهُ الواقدي بسندٍ آخر موصول.

وزاد أنهُ كان معهم عشرة آلاف فرس، فتحمل رواية معقل على إرادة عدد الفرسان، وقد نقل عن أبي زرعة الرازي أنهم كانوا في غزوة تبوك أربعين ألفاً، ولا تخالف الرواية التي في الإكليل أكثر من ثلاثين ألفاً، لإحتمال أن يكون من قال أربعين ألفاً جبر الكسر. وقوله يريد الديوان، هو كلام الزهري. وأراد بذلك الإحزار عمَّا وقع في حديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قال: اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام. وقد ثبت أن أول من دون الديوان؛ عمر رضي الله عنه[202].

ثالثاً: كُتُب المغازي والسير:

قال الواقدي: حدثني رفاعة بن ثعلبة بن أبي مالك عن أبيه عن جده قال: جلست مع زيد بن ثابت. فذكرنا غزوة تبوك، فذكر أنهُ حمل لواء مالك بن النجار في تبوك، فقلت: يا أبا سعيد كم ترى كان عدد المسلمين؟ قال: ثلاثون ألفاً. لقد كان الناس يرحلون عند ميل الشمس، فما يزالون يَرحلون والساقةُ مُقيمونَ حتى يرحلَ العَسكر[203]، وكان الناس مع رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ثلاثين ألفاً، والخيل عشرة آلاف فرس[204]، وإثنا عشر ألف بعِير، ويقال خمسة عشر ألف بعير[205].

وبذلك يكون ثلث الجيش؛ سلاح الفرسان، أقوى أسلحة ذلك العصر، وهو السلاح الذي يجيدهُ العرب البدو، لطبيعة بلادهم، فهو بمثابة سلاح الصاعقة، حيث يسهل عملية الكر والفر، وحرص النبي ﴿ﷺ﴾ أن يكون سلاح الفرسان في جيشهِ سلاحاً قوياً، ويليه الإبل –الهجانة-، وبذلك يستطيع الرسول ﴿ﷺ﴾ أن يُفزِع الرومان، وتقوى بذلك معنويات الجيش[206].

وقد أدى عدم وجود ديوان للجيش في عهد الرسول ﴿ﷺ﴾ إلى الإضطراب في الإحصاء الدقيق لعدد من غزا تبوك مع الرسول ﴿ﷺ﴾. وقد إعتمد من أحصى تبوك على الإجتهاد، إلا أن من حضر تبوك مع الرسول ﴿ﷺ﴾ قد رجح أن عدد الجيش كان (ثلاثينَ ألفاً)، وبهذا أخذ كُتَّاب المغازي والسير. والمشهور ما ذهب إليه كُتَّاب المغازي والسير، أن عدد من غزا تبوك مع النبي ﴿ﷺ﴾ كان (ثلاثين ألفاً، وعشرة آلاف فرس)، وهو الأقربُ إلى الصواب.

وبالرجوع قليلاً إلى ما سبق تبوك من غزوات، وبالتحديد من غزوة الفتح، والتي كانت في (رمضان، عام 8 هـ)، والتي سبقت تبوك بعامٍ واحد. نَجِد أن عدد من فتح مكة مع النبي ﴿ﷺ﴾ كانوا عشرة آلاف. وعدد الذين غزوا حُنين كانوا (إثنا عشرَ ألفاً). وقد قدر بعض كُتَّاب المغازي والسير؛ عدد هوازن وثقيف (بعشرين ألف)، ثم من غزا الطائف في (شوال، عام 8 هـ)[207] من المسلمين مع النبي ﴿ﷺ﴾، من أول دخوله مكة، سنجد أنهم كانوا (عشرة آلاف)، وانضم إليهم ألفان ممن أسلم من مكة في غزوة حُنين، وبإضافة من أسلم من هوازن وثقيف وبني سعد وبعض القبائل الأخرى، سنجد أن المجموع يقرب من (الثلاثين ألف)، وهم الذين خرجوا مع الرسول ﴿ﷺ﴾ إلى تبوك.

التنظيم العسكري للجيش قبل المسير:

فرغ رسول الله ﴿ﷺ﴾ من تنظيم شؤون المدينة، فبدأ ينظم جيشهُ، وكان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يستخلف على العسكر أبا بكرٍ الصديق رضي الله عنه يُصلي بالناس، وجعل رسول الله ﴿ﷺ﴾ لكل بطنٍ من المهاجرين والأنصار، وسائر القبائل؛ لواء وراية تعرف بها.

الألوية والرايات:

دفع رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ لواءهُ الأعظم إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ورايتهُ العُظمى إلى الزبير رضي الله عنه، ودفع راية الأوس إلى أُسيد بن الحضير[208]، ولواء الخزرج إلى أبي دجانة[209]، ويقال إلى الحباب ابن المنذر بن الجموح[210]، وكان رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قد دفع راية بني مالك ابن النجار إلى عمارة بن حزم[211]، فأدرك رسول الله زيد بن ثابت فأعطاهُ الراية، قال عمارة: يارسول الله لعلك وجدتَ عَليَّ[212]، قال: لا والله، ولكن قَدِموا القرآن، وكان أكثر أخذاً للقرآن منك. والقرآنُ يُقَدِّم، وإن كان عبداً أسودَ مُجدَّعاً.

وأمَرَ في الأوس والخزرج أن يحمل راياتهم أكثرهم أخذاً للقرآن. وكان أبو زيد يحمل راية بني عمرو بن عوف، وكان معاذ بن جبل يحمل راية بني سلمة[213].

ويدل إعطاء اللواء الأعظم لأبي بكر رضي الله عنه في آخر غزوة غزاها، وتخليفهُ علياً في أهلِ بيتهِ من إشارة لطيفة؛ إلى أن الصديق رضي الله عنه أحق الصحابة بالخلافة[214].

بعض الإرشادات للجيش قبل التحرك:

وقبل أن يتحرك الجيش، قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ استكثروا من النعال، فإن الرجل لا يزال راكباً مادام مُنتعِلاً[215]، وقال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أيضاً، لا يخرج معنا إلا مُقْوٍ[216]، فخرج رجلٌ على بَكرٍ لهُ صَعبٍ، فصرعهُ، فقال الناس: الشهيد، الشهيد، فبعث رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ منادياً ينادي: لا يدخل الجنة إلا مؤمن –أو إلا نفسٌ مؤمنةٌ–، ولا يدخل الجنة عاصٍ. وكان الرجل طرحهُ بعيرهُ بالسويداء[217].

وأمر النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ الجيش بالتحرك من ثنية الوداع باتجاه الشمال إلى تبوك؛ حيث الروم وحلفاءهم من متنصرة العرب، لكنَّ إبنَ أُبَـيّ –رأسُ المنافقين– أحدثَ أمراً خطيراً، وضربَ أقبحَ مثلاً في الجُبنِ والتخذيل، فعاودَ ما فعلهُ يوم أُحُد.

تخلف عبد الله بن أُبَيّ – رأسُ المنافقين –:

أَقبلَ عبدُ الله بن أُبَيّ بِعسكرهِ، فَضَرَبَهُ على ثَنِية الوداع بِحِذَاءِ ذُبَابٍ، مَعهُ حُلفاؤُهُ مِن اليهود والمُنافقين مِمنْ اجتمعَ إليهِ، فَكانَ يُقال: لَيسَ عَسكرُ ابنَ أُبَيّ بأَقل العَسْكَرَيْنِ. وَأَقَامَ مَا أَقَامَ رَسُولُ الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾[218].

قال ابن حزم: وهذا باطل لم يتخلف عن رسول الله مع ابن أُبَيّ إلا ما بين السبعين إلى الثمانين فقط من أهل الريب والنفاق[219]. وكان إبن أُبَيّ يثبط الناس قائلاً: يغزو محمد بني الأصفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد، إلى ما لا طاقة له به، يحسب محمد أن قتال بني الأصفر معه اللعب، والله لكأني أنظر إلى أصحابهِ مقرنين في الحبال. إرجافاً برسول الله وبأصحابه[220].

وكان من كبار المنافقين وأهل الريب الذين تخلفوا عن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ مع إبن أُبَيّ؛ (عبد الله أخو بني عوف بن الخزرج، وعبد الله بن نبتل أخو بني عمرو بن عوف، ورفاعة بن زيد بن التابوت أخو بني قينقاع)، فكانوا يكيدون للإسلام وأهله[221].

والراجح ما ذهب إليه ابن حزم، للأسباب الآتية:

1- ليس من المعقول أن يكون عدد من تخلف مع إبن أُبَيّ ثلاثون ألف، وأن يكون نفس العدد من أهل الريب والنفاق.

2- كيف يترك النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ هذا العدد الهائل خلفهُ ويطمئن إليه، وهو يواجه الروم. فيقع بين شَقيّ الرحى؛ -الروم من الخارج، والمنافقين من الداخل-

3- إن الرواية الأولى فيها مبالغةً كبيرة؛ أُريدَ بها التنبيه على عِظَم خطورة موقف إبن أُبَيّ.

الأحداث التي وقعت أثناء المسير:

وفي طريقهِ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ إلى تبوك، ذكر المحدثون، وكُتَّاب المغازي والسير؛ العديد من الأحداث التي وقعت أثناء المسير. (كالمرور بديار ثمود، وصلاتهُ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ خلف عبد الرحمن بن

عوف، وحديث أبو رهم الغفاري)، وغيره مما سيأتي ذكره.

ولهذه الأحداث أهمية تشريعية كُبرى، وتعتبر أدلة على بعض الأحكام الفقهية.

وتدل كثرة هذه الأحداث على مدى ما لاقاهُ النبي (صلى الله عليه وسلم) في مسيرهِ من مَشاق، كما تَدُل على صدق نبوة الرسول (صلى الله عليه وسلم). ومن هذه الأحداث:

مرور النبي (صلى الله عليه وسلم) القُرى وديار ثمود:

ذكر المحدثون، وكُتَّاب المغازي والسير، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لما مَرَّ بالحجر، قال: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم، إلا أن تكونوا باكين، ثم قنع رأسهُ[222]، وأسرع السير حتى أجاز الوادي[223].

وفي روايةٍ أخرى، لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين إلاَّ أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين، فلا تدخلوا عليهم، فيصيبكم ما أصابهم[224]. وقد نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) الناس عن دخول بيوت ثمود؛ خشية أن يصيبهم ما أصاب قوم ثمود، إلا أن يكونوا باكين، ذلك لأن البكاء يبعث على التذكر والإعتبار بهؤلاء الذين بدلوا نعمة الله كفراً[225].

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: رأيتُ رجلاً جاء إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) بخاتمٍ وَجدَهُ في الحجر؛ في بيوت المعذبين. قال: فأعرضَ عنهُ واستتر بيده أن ينظر إليه. وقال: ألقِه، فألقاه. فما أدري أين وقع حتى الساعة. وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول: إن رسول الله قال لأصحابه حين حاذاهم: إن هذا وادي النفر، فجعلوا يوضعون فيهِ ركابهم[226] حتى خرجوا منه[227].

حديقة المرأة:

روى المحدثون، وكُتَّاب المغازي والسير، عن أبي حميد الساعدي. قال: غزونا مع النبي (صلى الله عليه وسلم) غزوة تبوك، فلما جاء وادي القُرى؛ إذا امرأةٌ في حديقةٍ لها، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) لأصحابهِ " اخْرُصُوا "[228]، وخرصَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عَشَرَةَ أَوْسُقٍ[229]، فقال لها: " أَحْصِي مَا يَخْرُجُ مِنْهَا "[230].

وفي روايةٍ أخرى " اخرُصُوها "، فخرصَ رسول الله، وخرصناها معهُ، عشرة أوساق، ثم قال رسول الله " احفظي ما خرج منها حتى نرجع إليك "[231].

وفي أثناء نزوله (صلى الله عليه وسلم) وادي القُرى. أهدى له بنو عريض اليهودي هريساً[232]، فأكلها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأطعمهم أربعين وسقاً، فهي جارية عليهم. تقول امرأة من اليهود: هذا الذي صنع بهم محمد خيرٌ مما ورثوه من آبائهم. لأن هذا لا يزال جارياً عليهم إلى يوم القيامة[233].

ماء الحجر:

روى كُتَّاب المغازي والسير، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو من المشاركين في غزوة تبوك، قال: لما مررنا بالحجر إستقى الناس من بئرها وعجنوا، فنادى مُنادي النبي (صلى الله عليه وسلم): "لَا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا وَلَا تَتَوَضّئُوا مِنْهُ لِلصّلَاةِ، وَمَا كَانَ مِنْ عَجِينٍ فاعلفوهُ الإبل". فقال سهل بن سعد[234]، كنتُ أصغر أصحابي وكنت مُقريهم في تبوك، فلما نزلنا عجنت لهم ثم تحينت العجين. وقد ذهبتُ أطلب حطباً. فإذا مُنادي النبي (صلى الله عليه وسلم) ينادي: إن سول الله يأمركم ألاّ تشربوا من ماء بئرهم، فجعل الناس يَهرَقون ما في أَسقيَتِها. قالوا: يا رسول الله، قد عَجَّنا. قال: إعلفوه الإبل. قال: سهل فأخذتُ ما عجنت فعلَفْتُ نِضْوَيْنِ[235]، فهما كانا أَضعفَ رِكابِنا. وَتَحَوّلْنَا إلَى بِئْرِ صَالِحٍ النّبِيّ عَلَيْهِ السّلَامُ، فَجَعَلْنَا نَسْتَقِي مِنْ الْأَسْقِيَةِ وَنَغْسِلُهَا، ثُمّ ارْتَوَيْنَا، فَلَمْ نَرْجِعْ يَوْمَئِذٍ إلّا مُمْسِينَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): لَا تَسْأَلُوا نَبِيّكُمْ الْآيَاتِ! هَؤُلَاءِ قَوْمُ صَالِحٍ سَأَلُوا نَبِيّهُمْ آيَةً، فَكَانَتْ النّاقَةُ تَرِدُ عَلَيْهِمْ مِنْ هَذَا الْفَلْجِ، تَسْقِيهِمْ مِنْ لَبَنِهَا يَوْمَ وِرْدِهَا مَا شَرِبَتْ مِنْ مَائِهَا، فَعَقَرُوهَا فَأُوعِدُوا ثَلَاثًا، وَكَانَ وَعْدُ اللهِ غَيْرَ مَكْذُوبٍ، فَأَخَذَتْهُمْ الصّيْحَةُ فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْهُمْ تَحْتَ أَدِيمِ السّمَاءِ إلّا هَلَكَ، إلّا رَجُلٌ فِي الْحَرَمِ مَنَعَهُ الْحَرَمُ مِنْ عَذَابِ اللهِ. قَالُوا: يَا نَبِيّ اللهِ، مَنْ هُوَ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): أَبُو رِغَالٍ، أَبُو ثَقِيفٍ[236].

وربما كان منع النبي (صلى الله عليه وسلم) لهم من ماء الحجر، بسبب طول مكثهِ في عفونة. فهو يخشى أن يصبهم إذا شربوا منه؛ المرض في أبدانهم، أو خشية أن يورثهم شربه قسوة في قلوبهم[237].

وَفَاةُ ذِي الْبِجَادَيْنِ[238] رضي الله عنه وَقِيَامُ الرَّسُولِ (صلى الله عليه وسلم) عَلَى دَفْنِهِ:

عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قُمْتُ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، قَالَ: فَرَأَيْتُ شُعْلَةً مِنْ نَارٍ فِي نَاحِيَةِ الْعَسْكَرِ، قَالَ: فَاتَّبَعْتهَا أَنْظُرُ إلَيْهَا، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ ذُو الْبِجَادَيْنِ الْمُزَنِيُّ قَدْ مَاتَ، وَإِذَا هُمْ قَدْ حَفَرُوا

لَهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ فِي حُفْرَتِهِ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يُدَلِّيَانِهِ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: أَدْنِيَا إِلَيَّ أَخَاكُمَا، فَدَلَّيَاهُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا هَيَّأَهُ لِشِقِّهِ قَالَ: اللَّهمّ إِنّي أَمْسَيْتُ رَاضِيًا عَنْهُ، فَارْضَ عَنْهُ. قَالَ: يَقُولُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ صَاحِبَ الْحُفْرَةِ.

خبر ناقة[239] رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾:

لما كان رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ سائرًا في طريقِهِ إلى تبوك، ضلت ناقته القصواء[2]، فخرج أصحابه في طلبها، وعند رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ رجل من أصحابه، يقال له: عمارة بن حزم، وكان عقبيًّا بدريًّا[3]، وهو عم بني عمرو بن حزم، وكان في رحلهِ زيد بن اللصيت القينقاعي، وكان منافقًا. فقال زيد بن اللصيت وهو في رحل عمارة، وعمارة عند رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾: أليس محمد يزعم أنه نبي؟ ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وعمارة عندهُ: " إن رجلاً قال: هذا محمد يزعم أنه يخبركم أنه نبي، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها، وهي في هذا الوادي، في شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمامها، فانطَلِقوا حتى تأتوني بها ". فذهبوا فجاءوا بها، فرجع عمارة بن حزم إلى رحله، فقال: والله لعجب من شيء حدثناهُ رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ آنِفاً عن مقالة قائل أخبرهُ الله عنه بكذا وكذا، للذي قال زيد بن اللصيت، فقال رجل ممن كان في رحل عمارة، ولم يحضر رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾: زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي، فأقبل عمارة على زيد، يجأ في عنقه -يطعنه فيه- يقول: إليَّ عباد الله، إن في رحلي لداهية، وما أشعر، اخرج أي عدو الله من رحلي فلا تصحبني. قال ابن إسحاق: فزعم بعض الناس أن زيدًا تاب بعد ذلك، وقال بعض الناس: لم يزل مُتهماً بِشَرٍ حتى هلك[4].

حادثة الريح:

ذكر المحدثون، روي من أحاديث أبي حميد الساعدي، قال: فلما أتينا تبوك، قال ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ " أما إنَّها ستهبُّ الليلةَ ريحٌ شديدة، فلا يقومَنَّ أحدٌ، ومن كان معهُ بعيرٌ فَلْيَعْقِلْهُ " "فعَقلنَاها، وهبت ريحٌ شديدة، فقام رجل فألقتهُ بجبل طيءٍ[240].

ويدل ما سبق على أن الحادثة وقعت بتبوك، الأمر الذي ذكر خلافهُ كُتَّاب المغازي والسير، حيث ذكروا أنها وقعت أثناء مبيته ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بالحجر. والجدير بالذكر، أن الرواية التي ذكرها كُتَّاب

المغازي والسير هي نفس الحادثة، هي عن أبي حميد الساعدي أيضاً. فالراوي واحد، والرواية مختلفة.

روى الواقدي وغيره، عن أبي حميد الساعدي. قال: " فلما أمسينا بالحجر، قال ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ إنها ستهب الليلة ريح شديدة، فلا يقومنَّ أحد منكم إلا مع صاحبه، ومن كان له بعير ليوثق عِقاله. قال: فهاجت ريح شديدة ولم يقم أحد إلا مع صاحبه، إلا رجلين من بني ساعدة، خرج أحدهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بعيره. فأما الذي ذهب لحاجته، فإنه خفق على مذهبه، وأما الذي ذهب في طلب بعيره، فاحتملتهُ الريح، فطرحتهُ بجبلِ طيءٍ، فأخبر رسول الله خبرهما فقال: ألم أنهكم أن يخرج رجل إلا ومعه صاحب له؟ ثم نجا الذي أصيب على مذهبهِ فشفي، وأما الآخر الذي وقعَ بجبل طيء، فإن طيئاً أهدتهُ للنبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ حين قدم المدينة"[241]. ويُقال أن إسمها أجا وسلمى[243242].

والفرق بين الروايتين كبير. فالراوية الأولى إنما هي ضرب من ضروب المستحيل، إذ ليس من المعقول أن تحمل الريح رجلاً كل هذه المسافة من تبوك إلى جبل طيءٍ، ويظل حياً؟! أما الرواية الثانية فهي الأقرب إلى الصواب، وذلك لإمكانية وقوعها، حيث قرب المسافة بين وادي القُرى وجبل طيء.

والجدير بالذكر أن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قد تعرض في غزوة تبوك لعاصفتين.

الأولى: وهو بالحجر، وهي التي تحدث عنها كُتَّاب المغازي والسير.

والثانية: وهو بتبوك، حيث هاجت ريحٌ شديدة، فقال ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، هذه لموت منافق عظيم النفاق[244]. والواضح أنها المقصودة في الرواية الأولى، لولا أن بعضهم اختلق عليها بعض الزيادات.

صلاتهُ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ خلف عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه[245]:

روى ابن سعد بسند صحيح، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: (كنا فيما بين الحجر وتبوك، ذَهبَ رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ لحاجته وكان إذا ذهب أبعد، وتبعته بماء بعد الفجر - وفي رواية قبل الفجر-، فأسفر الناس بصلاتهم، وهي صلاة الفجر حتى خافوا الشمس، فقدموا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، فصلى بهم، فحملت مع رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أداوة فيها ماء، وعليه جبة رومية

من صوف، فلما فرغ صببت عليه فغسل وجهه، ثم أراد أن يغسل ذراعيه فضاق كم الجبة فأخرج يديه من تحت الجبة فغسلهما، فأهويت لأنزع خفيه، فقال: "دعهما فإنني أدخلتهما طاهرتين"، فمسح عليهما، فانتهينا إلى عبد الرحمن بن عوف، وقد ركع ركعة، فسبّح الناس لعبد الرحمن بن عوف حين رأوا رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ حتى كادوا يُفتَـنون، فجعل عبد الرحمن يريد أن ينكص وراءه، فأشار إليه رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أن أثبت، فصلى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ خلف عبد الرحمن بن عوف ركعة، فلما سلم عبد الرحمن تواثب الناس، وقام رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يقضي الركعة الباقية ثم سلم بعد فراغه منها، ثم قال: "أحسنتم، أو-قد أصبتم- "فغبطهم أن صلوا الصلاة لوقتها، "إنهُ لم يتوفّ نبيّ حتى يؤمّه رجل صالح من أمته"). ورواهُ مسلم بنحوه[246].

مؤامرات المنافقين ودسائسهم أثناء المسير:

تخلف عدد كبير من المنافقين عن الغزو، وكَرِهوا الخروج مع النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، ودبروا العديد من المؤامرات لإفشال الغزو. إلا أن عدم نجاحهم في ذلك قد جعلهم يمكرون. فعزمت طائفةٌ منهم على مرافقتهِ في المسير، علَّهُم يجدون فرصةً ينالون بها من الجيش، ومن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، ففضحهم القرآن، ونزل فيهم ما أظهر خبية نفوسهم الخبيثة. وليؤكد أن في خروجهم وَبالاً وَخَبالاً على الجيش.

وقد سجل المفسرون، وكُتَّاب المغازي والسير؛ العديد من مكائد المنافقين أثناء المسير، ومحاولاتهم النيل من الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وأصحابه.

إستهزاء المنافقين بالرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وأصحابه:

كان المنافقين على حذرٍ دائمٍ خائفينَ من أن ينزل فيهم قرآن يكشف ما في نفوسهم على الملأ. قال تعالى {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ (*) وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ (*) لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ}[247].

تعددت روايات المفسرين عن سبب نزول هذه الآيات، وكذلك ما كتبهُ كُتَّاب المغازي والسير؛ حيثُ قد أجمعوا على وقوع هذهِ الأحداث.

أ. قَالَ أَبُو مَعْشَرٍ الْمَدِينِيُّ: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ وَغَيْرِهِ قَالُوا: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ: مَا أَرَى قُرَّاءَنَا هَؤُلَاءِ إِلَّا أَرْغَبَنَا بُطُوناً وَأَكْذَبَنَا أَلْسِنَةً، وَأَجْبَنَنَا عِنْدَ اللِّقَاءِ. فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، وَقَدِ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ. فَقَالَ: أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ- إلى قوله- كانُوا مُجْرِمِينَ[248].

ب. قال محمد بن إسحاق: وقد كان جماعة من المنافقين منهم (وديعة بن ثابت أخو بني أمية بن زيد، من بني عمرو بن عوف، ورجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له: مخشي بن حمير[249])، يشيرون إلى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، وهو منطلق إلى تبوك، فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً؟ والله لكأنا بِكُم غداً مقرنين في الحبال، إرجافاً وترهيباً للمؤمنين، فقال مخشي بن حمير: والله لوددتُ أنيّ أُقاضى على أن يُضربَ كل رجلٍ منا مائةَ جلدة، وأنّا ننفلتُ أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه. وقال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ فيما بلغني، لعمار بن ياسر: أدرك القوم، فإنهم قد احترقوا، فسلهم عمّا قالوا، فإن أنكروا، فقُل: بلى، قلتم كذا وكذا. فانطلقَ إليهم عمار، فقال ذلك لهم، فأتوا رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يعتذرون إليه، فقال وديعة بن ثابت، ورسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ واقفٌ على راحلته، فجعل يقول وهو آخذٌ بحقبها[250]: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله عزَّ وجل {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ}، فقال مخشي بن حمير: يا رسول الله، قعد بي اسمي واسم أبي. فكان الذي عُفِيَّ عنهُ في هذه الآية مخشي بن حمير، فتسمى عبد الرحمن، وسأل الله أن يُقتَلَ شهيداً، لا يعلم بمكانِهِ، فقُتِلَ يوم اليمامة، فلم يوجد له أثر[251].

ج. وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة، قال: قال أُناس من المنافقين: أيرجو هذا الرجل أن تُفتَح لهُ قصور الشام وحصونها؟ هيهات، هيهات، فأطلعَ اللهُ نبيهُ على ذلك، فقال: احبسوا على هؤلاء الركب، فأتاهم فقال: قلتم كذا وكذا، قالوا: يا نبي الله، إنما كنا نخوض ونلعب. فأنزل الله فيهم ما سبق من الآيات[252].

د. ذكر الواقدي، أنَّ رهطاً من المنافقين كانوا يسيرون مع النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ في تبوك، منهم (وديعة بن ثابت؛ أحد بني عمرو بن عوف، والجلاس بن سويد، ومخشي بن حمير من أشجع حليف لبني سلمة، وثعلبة بن خالد)، فقالوا: اتحسبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم، والله لكأننا بكم غداً مقرنين في الحبال - إرجافاً برسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، وترهيباً للمؤمنين -، فقال وديعة بن ثابت: مَا أَرَى قُرَّاءَنَا هَؤُلَاءِ إِلَّا أَرْغَبَنَا بُطُوناً، إلى آخر الرواية[253].

قصة أبي خيثمة[254] رضي الله عنه:

روى الطبراني عن أبي خيثمة رضي الله عنه، وابن إسحاق، ومحمد بن عمر عن شيوخهما، قالوا: لمّا سار رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أيّاماً، دخل أبو خيثمة على أهله في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه، وقد رشت كل منهما عريشها وبرّدت له فيه ماء، وهيأت له فيه طعاما، فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له. فقال: سبحان الله! رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر في الضّحّ والريح والحر يحمل سلاحه على عنقه، وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ، وامرأة حسنة، في ماله مقيم؟!! ما هذا بالنّصف! ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، فهيّئا لي زاداً، ففعلتا، ثم قدّم ناضحه فارتحله، ثم خرج في طلب رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ حتى أدركه حين نزل تبوك، وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطّريق يطلب رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك، قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إنّ لي ذنبا فلا عليك أن تخلّف عني، حتى أتى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، ففعل، حتى إذا دنا من رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل، فقال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾: " كن أبا خيثمة "، فقال رجل: هو والله يا رسول الله؛ أبو خيثمة، فقال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾: " أولى لك يا أبا خيثمة "، ثم أخبر رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ الخبر، فقال له رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾: خيراً، ودعا له بخير[255].

الفصل الرابع

وصول النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ إلى تبوك

خطبة النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بتبوك:

روى الإمام أحمد، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّه قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ عام تَبُوكَ خَطَبَ النَّاس وَهُوَ مُسْنِدٌ ظَهْرَهُ إِلَى نَخْلَةٍ فَقَالَ " أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاس وشرِّ النَّاس، إنَّ مِنْ خَيْرِ النَّاس رَجُلًا عَمِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ، أَوْ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرِهِ، أَوْ عَلَى قَدَمَيْهِ حتَّى يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ، وإنَّ مِنْ شرِّ النَّاس رَجُلًا فَاجِرًا جَرِيئًا يَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ لَا يَرْعَوِي إلى شئٍ مِنْهُ[256].

وروى البيهقي عن عقبة[257] بن عامر الجهني، أنه قال: لما أصبحَ النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بتبوك، جمع الناس، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: " أيها الناس أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وخير السنن سنة محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوازمها[258]، وشر الأمور محدثاتها، وأحسن الهدي هدي الأنبياء، وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع، وخير الهدي ما اتبع، وشر العمى عمى القلب، واليد العُليا خيرٌ من اليد السُفلى، وما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة يوم القيامة، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دبراً. ومن الناس من لا يذكر الله إلا هجرا[259]. ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله عزوجل، وخير ما وقر في القلوب اليقين، والإرتياب من الكفر، والنياحة من عمل الجاهلية، والغلول من حثاء جهنم، والسكركي من النار، والشعر من إبليس، والخمر جماع الإثم، والنساء حبائل الشيطان،

والشباب شعبة من الجنون، وشر المكاسب كسب الربا، وشر المآكل أكل مال اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من شقي في بطن أمه، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع، والأمر إلى الآخرة، وملاك العمل خواتمه، وشر الروايا روايا الكذب، وكل ما هو آت قريب، وسباب المؤمن فسوق، وقتال المؤمن كفر، وأكل لحمه من معصية الله، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يتألى[260] على الله يكذبه، ومن يستغفرهُ يُغفرُ له، ومن يَعفُ يَعفُ الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجرهُ الله، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله، ومن يبتغي السمعة يسمع الله به، ومن يصبر يضعف الله له، ومن يعصِ الله يعذبه الله، اللهم اغفر لي ولأمتي، اللهم اغفر لي ولأمتي، اللهم اغفر لي ولأمتي ". قالها ثلاثاً، ثم قال: " أستغفر الله لي ولكم "[261].

وتُعتَبر هذه الخطبة أعم وأشمل من خطبة حجة الوداع، لِما تَضمنتهُ. غير أن خطبة حجة الوداع أذكر في الناس لمناسبتها.

وقد ذكر إبن كثير أن هذا الحديث غريب وفيهِ نكارة وفي إسنادهِ ضعف[262]. ولم يذكر سبب غرابة الحديث أو نكارتهِ؟ برغم أنهُ قد وردت مقاطع كثيرة من هذه الخطبة الرائعة في مواضعٍ من كتب الحديث الستة الصحاح. مثل البخاري، ومسلم وبقية الستة[263]. وقد ذكرها أيضاً العديد من كُتَّاب المغازي والسير، مثل الواقدي، والصالحي[264]. ثم جلسَ رسول الله ﴿ﷺ﴾ في موضعِ مسجدهِ بتبوك. فنظرَ نحو اليمين، ورفع يديهِ يشير إلى أهل اليمن فقال: الإيمان يمان، ونظر نحو المشرق، (وهو العراق بالنسبة لتبوك)[265] وأشارَ بيدهِ فقال: إن الجفاء، وغلظ القلوب، في الفدادين[266] أهل الوبر؛ من نحو المشرق؛ حيث يطلع الشيطان قرنيهِ[267].

بعض الأحداث التي وقعت أثناء مقام النبي ﴿ﷺ﴾ بتبوك:

حرس الرسول ﴿ﷺ﴾ بتبوك:

كان من عادة الرسول ﴿ﷺ﴾ بصفتهِ القائد الأعلى للجيش، أن يقيم لنفسهِ حرساً يحرسون مقرهُ طالما أنه في أرض العدو، وفي حالة حرب، وكان إثنان من الصحابة إشتهرا بتولي حراسة الرسول ﴿ﷺ﴾ هما، عباد بن بشر، ومحمد بن سلمة، وكلاهما من الأنصار[268].

ذكر كُتَّاب المغازي والسير، أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ إستعمل على حرسهِ بتبوك من يوم قَدِمَ إلى أن رحل منها (عباد بن بشر)[269]، فكان يطوف في أصحابهِ على العسكر. فغدا على رسول الله ﴿ﷺ﴾ يوماً. فقال: يا رسول الله، مازلنا نسمع صوت تكبير من ورائنا حتى أصبحنا، أفوضت أحدنا يطوف على الحرس؟ فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾: ما فعلت. ولكن عسى أن يكون بعض المسلمين انتدب، فقال: سِلْكان بن سلامة[270]: يا رسول الله، خرجتُ في عشرةٍ من المسلمين على خيلنا، فكنا نحس الحرس، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾: رَحِمَ اللهُ حارسَ الحرس في سبيل الله، ولكم قيراط من الأجر على كل من حَرستم منَ الناس جميعاً أو دابة[271].

ويدل ذلك على مدى حرص بعض المؤمنين على حياة النبي ﴿ﷺ﴾، حيثُ لم يكتفوا بما عينَّ رسول اللهِ ﴿ﷺ﴾ لنفسهِ من حرس، لعدم إطمئنانهم لإنسحاب الروم. فجعلوا من أنفسهم خط الدفاع الأول في حالة المباغتة، ولِعِلمهم بوجود عناصر من المنافقين الذين لا يُطْمَئنُ إليهم داخل الجيش.

مِنَ التربية النبوية:

وفي مقامهِ بتبوك أثنى رسول الله ﴿ﷺ﴾ على المتـثـبتـين، ونهى عن الخِفة والنزق.

روى كُتَّاب المغازي والسير، عن ابن عمر رضي الله عنه، أنه قال: فزع الناس بتبوك ليلة، فخرجتُ في سلاحي حتى جلست إلى سالم مولى أبي حذيفة، وعليهِ سلاحه. فقلتُ: لأقتدينَّ بهذا الرجل الصالح من أهل بدر، فجلستُ إلى جنبهِ قريباً من قبة رسول الله ﴿ﷺ﴾، فخرجَ رسول الله ﴿ﷺ﴾ علينا مُغضباً، فقال: أيها الناس ما هذه الخفة[272]؟ ما هذا النزق[273]؟ ألا صنعتم ما صنع هذان الرجلان الصالحان؟ يعنيني وسالماً؛ مولى أبي حذيفة[274].

والظاهر أنهم تسابقوا إلى سلاحهم في شيءٍ من التسرع، لإعتقادهم أن إنسحاب الروم ما هو إلا خدعة، وأنهُ قد حدث هجوم. فأراد رسول الله ﴿ﷺ﴾ أن يطمئنهم، ويُهدىء من روعهم، وحتى لا يعطي الفرصة للمنافقين، لإثارة البلبلة داخل الجيش.

نسور الصحراء:

عندما اطمئن الجيش إلى حقيقة إنسحاب الروم، أخذ فرسان المسلمين يمارسون مهاراتهم في الصيد، وسباق الخيل.

روى كُتَّاب المغازي والسير: عن رافع بن خديج[275] أنه قال: أقمنا بتبوك المقام، فأرملنا من الزاد وقرمنا[276] إلى اللحم ونحن لا نجده، فجئتُ رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقلتُ: يا رسول الله، إن اللحم ها هُنا، وقد سألتُ أهل البلد عن الصيد فذكروا لي صيداً قريباً – فأشاروا ناحية الغرب –، فأذهبُ فأصيد في نفرٍ من أصحابي، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إن ذهبت فأذهب في عدةٍ بين أصحابك، وكونوا على خيلٍ، فإنكم تتفرقون من العسكر. قال: فانطلقتُ في عشرةٍ منَ الأنصار فيهم أبو قتادة، – وكان صاحب طرد بالرمح وكنتُ رامياً –، فطلبنا الصيد، فأدركنا صيداً، فقتلَ أبو قتادة خمسة أحمرة بالرمح؛ على فرسه، ورميتُ قريباً من عشرينَ ظبياً، وأخذ أصحابنا الظبيين والثلاثة والأربعة، وأخذنا نعامةً طردناها على خيلنا، ثم رجعنا إلى العسكر، فجئناهم عشاءً، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) يسأل عنا. ما جاءوا بعد؟ فجئنا إليه، فألقينا ذلك الصيد بين يديه، فقال: فرقوهُ في أصحابكم، قلت يا رسول الله، أنت مر بهِ رجلاً، قال: فأمر رافع بن خديج. قال: فجعلتُ أعطي القبيلة بأسرها الحمار والظبي، وأفرق ذلك، حتى كان الذي صار لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ظبي واحد مذبوح، فأمر به، فطُبِخ. فلما نضجَ دعا به، – وعنده أضياف –، فأكلوا. ونهانا بعد أن نعود، وقال: لا آمن. أو قال: أخاف عليكم[277].

ويدل حديث رافع؛ على أن الروم قد تركوا المنطقة نهائياً، وتوغلوا داخل الشام، لتجنب أي مصادمات مع المسلمين.

تبادل الرسائل بين هِرَقْلَ والرسول (صلى الله عليه وسلم):

ذكر المحدثون، وكُتَّاب المغازي والسير؛ أنهُ (صلى الله عليه وسلم) كتبَ كتاباً في تبوك إلى هِرَقْلَ، غير الكِتاب الذي كانَ أرسلهُ لهُ مع دحية[278] في مدة الهدنة المذكورة في الصحيح. فإن بعثهُ في آخر سنة ست، ووصل في المحرم سنة سبع. قالهُ الواقدي، واعتمدهُ في الفتح، وكان المبعوث بهذا أيضاً دحية. كما في رواية أحمد[279].

روى الإمام أحمد[280]، عن طريق سعيد بن أبي راشد، قال: " لقيت[281] التنوخي رسول هِرَقْلَ إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بحمص[282]، وكان جاراً لي شيخاً كبيراً قد فُنِّد[283]، فقلتُ: ألا تخبرني

عن رسالة هِرَقْلَ إلى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، ورسالة رسول الله إلى هِرَقْلَ؟ قال: بلى. قَدِم رسول الله تبوك، فبعث دحية الكلبي إلى هِرَقْلَ، فلما أن جاءهُ كِتاب رسول الله، دعا قسيسي الروم وبطارقتها، ثم أغلقَ عليهِ وعليهم الدار، فقال: نزلَ هذا الرجل حيثُ رأيتم، وقد أرسلَ إليَّ يدعوني إلى ثلاث خصال، يدعوني إلى أن أتبعَهُ على دينهِ، أو على أن نُعطيهِ مالنا على أرضنا، والأرض أرضنا، أو نلقي إليه الحرب. والله لقد عرفتم فيما تقرءون من الكتب، ليأخُذنَّ ما تحت قدمي، فَهَلُمَّ نتبعهُ على دينهِ، أو نعطيهِ مالنا على أرضنا، فنخروا نخرة رجلٍ واحدٍ، حتى خرجوا من برانسهم، وقالوا: تدعونا إلى أن ندع النصرانية، أو أن نكونَ عبيداً لأعرابيٍ جاء من الحجاز؟ فلما ظنَّ أنهم إن خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم، رفأهم[284]، ولم يكد، وقال: إنما قلتُ ذلكَ لكم، لأعلم صلابتكم على أمركم ".

ثم دعا رجلاً من عرب تجيب كان على نصارى العرب، وقال: أدعُ لي رجلاً حافظاً للحديث، عربي اللسان أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابهِ، فجاءهُ بي، فدفع إليَّ هِرَقْلَ كتاباً، فقال: إذهب بكتابي إلى هذا الرجل، فما سمعت من حديث. فأحفظ لي منهُ ثلاث خصال: انظر هل يذكر صحيفتهُ إليّ التي كتب بشيءٍ؟ وانظر إذا قرأ كتابي، فهل يذكر الليل؟ وانظر في ظهرهِ هل بهِ شيء يريبك؟ قال: فانطلقتُ بكتابهِ، حتى جئت تبوك. فإذا هو جالسٌ بينَ ظهراني أصحابه، مُحتبياً على الماء، فقلت: أين صاحبكم؟ قيل ها هو ذا، فأقبلتُ أمشي حتى جلستُ بين يديه. فناولتهُ كتابي، فوضعهُ في حجرهِ، ثم قال: " ممن أنت "، فقلتُ: أنا أحد تنوخ، قال: هل لكَ إلى الإسلام الحنيفية ملة أبيكَ إبراهيم، قلت إنيّ رسول قوم وعلى دين قوم، لا أرجع عنهُ، حتى أرجع إليهم. فَضَحِكَ، فقال {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}[285].

يا أخا تنوخ إنيّ كتبتُ بكتابٍ إلى كسرى، فمزقهُ، والله ممزقهُ، وممزق ملكه، وكتبتُ إلى النجاشي بصحيفةٍ فخرقها، والله مخرقهُ ومخرق ملكه، وكتبتُ إلى صاحبكَ بصحيفةٍ فأمسكها، فلن

يزال الناس يجدونَ منهُ بأساً مادام في العيش خير. قلتُ: هذه إحدى الثلاثة التي أوصاني بها صاحبي، وأخذتُ سهماً من جُعبتي، فكتبتها في جلد سيفي، ثم إنه ناول الصحيفة رجلاً عن يسارهِ، قلت: من صاحب كتابكم الذي يقرأ لكم؟ قالوا: معاوية، فإذا في كتاب صاحبي: تدعوني إلى جنةٍ عرضها السموات والأرض أُعِدَت للمتقين. فأين النار؟ فقال رسول (ﷺ): سبحان الله، أين الليل إذا جاء النهار؟ قال: فأخذتُ سهماً من جُعبتي فكتبتهُ في جلد سيفي، فلما أن فرغَ من قراءة كتابي، قال: إن لك حقاً وأنك رسول. ثم قال (ﷺ): أيكم ينزل هذا الرجل؟ فقال فتى من الأنصار أنا، فقام الأنصاري، وقمتُ معهُ، حتى إذا خرجت من طائفة المجلس ناداني رسول الله (ﷺ)، وقال: تعال يا أخا تنوخ، فأقبلتُ أهوي إليهِ، حتى كنتُ قائماً في مجلسي الذي كنتُ بينَ يديهِ. فَحلَّ حبوتهِ عن ظهره، وقال: ها هُنا. إمضِ لِما أُمرتَ لهُ. فجلت في ظهرهِ، فإذا أنا بخاتمٍ في موضعِ غضون الكتف؛ مثل الحجمة الضخمة. قال إبن كثير في البداية والنهاية: " هذا حديثٌ غريب، وإسناده لا بأس بهِ. تفرد به الإمام أحمد"[286].

والواضح أن حديث الإمام أحمد قد أُدخِلَت عليهِ زيادة مختلفة غير صحيحة، وذلك لعدم مطابقتها للواقع، وهي:

أولاً: صحة الحديث إلى قوله: " إنما قلتُ ذلكَ لكم، لأعلم صلابتكم على أمركم ".

ثانياً: من بداية قوله: " ثم دعا رجلاً من عرب تجيب كان على نصارى العرب "، إلى نهاية الحديث. هو المقصود بالزيادة المختلفة، وذلك للأسباب الآتية:

1- ما المقصود بقولهِ: " ثم دعا رجلاً من عرب تجيب كان على نصارى العرب "؟ ومن هذا الرجل؟

2- قوله: " وكتبتُ إلى النجاشي بصحيفةٍ فخرقها، والله مخرقهُ ومخرق ملكه "، غير صحيح، لأنهُ من المعروف لدى كُتَّاب المغازي والسير؛ أن الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، قد كتب إلى النجاشي كتابين:

الأول: يدعوهُ إلى الإسلام، وقد أجاب.

والثاني: يأمرهُ أن يزوجهُ أم حبيبة بنت أبي سفيان. وأن يبعث إليهِ بمن عندهُ من أصحابهِ. وهذا ما قالهُ إبن سعد في الطبقات[287]. فلم يثبُت أن النجاشي قد أخرق رسالة النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾.

3- إن الرد على الرسالة كان مع دحية، وليس مع التنوخي. ويؤيد ذلك ما رواهُ السهيلي، قال: إن هِرَقْلَ أهدى إلى الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ هديةً. فقبلها، وفرقها على المسلمين. وكتبَ كِتاباً أرسلهُ مع دحية إلى النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يقول فيه: " إنيّ معك، ولكني مغلوبٌ على أمري "، فلما قرأهُ رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، قال: " كذبَ عدو الله، ليس بمسلم، وهو على نصرانيتهِ[288]".

4- إن هِرَقْلَ كان يعلم صدق النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ من أول رسالةٍ وصلتهُ. فما الداعي إلى كل هذهِ المحاورة التي ذكرتها رواية التنوخي!.

إنسحاب الروم:

لم يجد الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أي أثر لأيةِ حشودٍ رومانية، أو عربية متنصرة موالية لهم؛ على حدود الشام الجنوبية. وأمام هذا الواقع يبرز سؤال، وهو: " لماذا لم تكن الحشود الرومانية موجودة على حدود الجزيرة العربية "؟، كما جاء في الأخبار التي بلغت الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، أم أنها كانت غير صحيحة.

وإنما أوعزَ الرومان إلى وكلاء إستخباراتهم من العرب الموالين لهم بإشاعاتها، لإرهاب المسلمين، وإختبار قوتهم الحربية فحسب؟!.

إلى هذا الرأي الأخير يميل العديد من كُتَّاب المغازي والسير؛ الذين قالوا: " ولم يكن ذلك حقيقة، إنما ذلك شيءٍ قيلَ لهم فقالوه "[289]. والحقيقة خلاف ذلك تماماً. فالروم قد أتموا إستعداداتهم بالفعل للهجوم على الجزيرة العربية. ويؤيد ذلك ما ذُكِر عند الحديث عن أسباب غزوة تبوك. ولهذا هرعَ النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ لرد عدوانهم. ويؤيد ذلك أيضاً ما رواهُ إبن سعد، قال: " بلغَ رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أن الروم قد جمعت جُموعاً كثيرة بالشام، وأن هِرَقْلَ قد رزق أصحابهُ لسَنَة، وأجلبَت معهُ لخم وجذام وعاملة وغسان. وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء "[290]. أضف إلى أنَّ هِرَقْلَ أرادَ بإستعداداتهِ العسكرية تلك؛ إثبات عدم ميلهِ للإسلام أمام قادته، خاصةً بعد أن دخل الشك قلوبهم منه، بعد إجتماعهُ بهِم أثناء عرض رسالة النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ عليهم.

أما الإجابة عن السؤال الذي ذكرناهُ، وهو: لماذا لم تكن الحشود الرومانية موجودة على حدود الجزيرة العربية؟ والإجابة على هذا السؤال. كالآتي:

أولاً: إتفق المفسرون، والمحدثون؛ على أن الله سبحانه وتعالى قد إختص نبيه ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بنصرهِ بالرعب. قال تعالى {سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللَّهِ}[291].

روى عن جابر عن يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قال: " بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ، فَوُضِعَتْ فِي يَدِي ". قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَقَدْ ذَهَبَ رَسُولُ الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وَأَنْتُمْ تَــنْـتـَثِلُونَهَا[292].

ثانياً: يرى بعضَ كُتَّاب المغازي والسير، أن الشام كانت من قديم الزمان، ولم تزل معروفةً بكثرة الطواعين. فلما قَدِمَ النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ تبوك غازياً الشام، لعلهُ بلغهُ أن الطاعون في الجهة التي كان يقصدها، فكان ذلك من أسباب رجوعهِ من غيرِ قتال.

ويؤيد ذلك ما رواه المحدثون[293]، أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: " إذا وقع الطاعون بأرضٍ، وأنتم بها، فلا تخرجوا منها، وإذا كنتم بغيرها فلا تقدموا عليها". رواهُ أحمد، والطبراني[294].

ويُعتَبَر هذا الرأي ضعيف؟ لأنهُ لم يَثبُت أنهُ وقعَ طاعون بالشام في فترة وجود النبي ﴿ﷺ﴾ بتبوك.

ثالثاً: إن السبب المباشر لإنسحاب الروم بعد إستعداداتهم؛ هو زيادة حدة الصراع الديني بين المذهبين؛ الأرثوذكسي والمونوفيزيتي، والذي أدى إلى حدوث إنقسام في الجبهة الداخلية، مما جعل هِرَقْلَ يسحب قواتهُ من على الحدود، مخافةَ أن يؤدي هذا الجدل الديني إلى حدوث صراع عسكري. والجدير بالذكر، أن هذا الخلاف المذهبي قد أججهُ الفرس حينما استولوا على (سورية، ولبنان، وفلسطين، ومصر)، وبقاؤهم فيها خمسة عشر سنة، فاضطهدوا أبناء الكنيسة الأم، لعلاقتهم بالقسطنطينية، وتمسكهم بعقائدها " الأرثوذكس "، وتنشيط اليعاقبة، وكل من قال بالطبيعة الواحدة " المونوفيزيتية ". وعندما إسترد الروم هذه الأقطار، وجدوا أن جميع بطاركتهم من أتباع الطبيعة الواحدة، فعادوا إلى معالجة هذا الإنشقاق، وقد عهد إلى البطريرك سرجيوس بمهمة التوفيق بين المذهبين المتصارعين[295].

وبعد التأكد من إنسحاب الروم داخل الشام، ذكر كُتَّاب المغازي والسير، أن النبي ﴿ﷺ﴾ إستشار أصحابهُ في مجاوزة تبوك إلى داخل الشام، فقال لهُ عمر رضي الله عنه: إن كُنتَ أُمِرتَ بالمسير، فَسِّر. فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾: لو أُمِرتُ بالمسير، لما استشرتكم فيه. فقال: يار سول الله، إن للروم جموعاً كثيرة. وليسَ بها أحد من أهل الإسلام، وقد دنونا، وقد أفزعهم دنوك، فلو رجعنا هذه السنة حتى تَرى، أو يُحدِثَ اللهُ لكَ أمراً[296].

وهذا نصٌ صريحٌ بأن تبوك لم يقع بها مقاتلة، ولا حَصل فيها غنيمة، وهذا ما إتفق عليهِ كُلاً مِنَ المفسرين، والمحدثين، وكُتَّاب المغازي والسير.

المعاهدات مع أمراء الحدود الشمالية:

فتح دومة الجندل[297]:

لم يَبقَ محمد ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ في حاجة إلى القتال بعد إنسحاب الروم، وبعد معاهدة البلاد الواقعة على الحدود معه، وبعد أمنهُ عودة الجيوش البيزنطية من هذه الناحية، لولا خيفة إنتفاض أكيدر بن عبد الملك الكندي النصراني؛ أمير دومة الجندل، ومعاونته جيوش الروم إذا جاءت من ناحيتهِ[298].

فقد كانت دومة الجندل تشكل مملكة صغيرة يحكمها ملك عربي حضرمي من كندة، وكان على دين النصرانية، وكان شعب مملكة دومة الجندل أغلبيتهُ الساحقة من قبيلة كلب القحطانية. وهي قبيلة كثيرة العدد، وذات قدرة قتالية ممتازة. وهذا أمرٌ مشهورٌ عن هذهِ القبيلة في الجاهلية والإسلام.

ولما كان من برنامج الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ توحيد الجزيرة العربية كلها تحت لواء الإسلام، بحيث لا يبقى في أيةِ بُقعةٍ من هذهِ الجزيرة أو شبر واحد غير خاضع لسلطان الإسلام، فقد قرر الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ إخضاع نصارى دومة الجندل إما بالسلم والصلح، وإما بالحرب. وبِنَّاءً على هذا القرار. إستدعى الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾؛ القائد الشهير خالد بن الوليد رضي الله عنه، وأبلغهُ أنه قرر غزو دومة الجندل، وأنه قد عينهُ قائداً على الجيش الذي سيتولى هذه المهمة[299].

وبعث رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ خالد بن الوليد من تبوك في أربعمائة وعشرين فارساً إلى أكيدر بدومة الجندل، فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله، كيف لي بهِ وسط بلاد كلب، وإنما أنا في أُناسٍ يسير؟ فقال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾: ستجدهُ بصيدِ البقر فتأخذهُ. قال: فخرج خالد حتى إذا كان من حُصنِهِ بمنظرِ العين في ليلةٍ مقمرة صائفة، وهو على سطحٍ لهُ، ومعه امرأتهُ الرباب بنت أنيف بن عامر من كندة، وصعدَ على ظهر الحُصن من الحر. وقينته تغنيه، ثم دعا بشرابٍ فشرب، فأقبلت البقر تحك بقرونها باب الحصن، فأقبلت امرأتهُ الرباب فأشرفت على الحصن، فرأت البقر، فقالت: ما رأيتُ كالليلة في اللحم، هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا، ثم قالت: من يترك هذا؟ قال: لا أحد. قال: يقول أكيدر: والله ما رأيت جاءتنا ليلة بقر غير تلك الليلة. ولقد كنت أضمر لها الخيل إذا أردت، أخذها شهراً أو أكثر، ثم أركب بالرجال وبالآلة.

فنزل فأمر بفرسهِ فأُسرِج، وأمر بخيلٍ فَأُسرِجت، وركب معهُ نفرٌ من أهل بيته، معهُ أخوهُ حسان ومملوكان، فخرجوا من حصنهم بمطاردهم[300]. فلما فَصلوا من الحصن، وخَيلُ خالدٍ تنظُرُهم لا يَصهِلُ منها فرسٌ ولا يتَحرَك، فساعةَ فصلَ أخذتهُ الخيل، فاستأسر أكيدر وامتنع حسان، فقاتل حتى قُتِل، وهرب المملوكان ومن كان معه من أهل بيتهِ، فدخلوا الحصن. وكان على حسان

قباء ديباج مخوص بالذهب، فاستلبهُ خالد فبعثَ بهِ إلى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ مع عمرو بن أمية الضمري حتى قَدِم عليهم، فأخبرهم بأخذهم أكيدر[301].

قال أنس بن مالك، وجابر بن عبد الله: رأينا قباء حسان أخي أكيدر حين قدم به إلى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾. فجعل المسلمون يتلمسونهُ بأيديهم ويتعجبون منه. فقال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾: أتعجبون من هذا؟ فوَ الذي نفسي بيدهِ، لمناديلُ سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا. وقد كان رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قال لخالد بن الوليد: إن ظَفرتَ بأكيدر فلا تقتلهُ، وأئْتِ بهِ إليَّ، فإن أَبّى فأقتلوهُ، فطاوعهم. فقال بجير بن بجرة من طيءٍ، ذكر قول النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ لخالد "إنكَ تجدهُ يصيد البقر"، وما صنعَ البقر تلك الليلة بباب الحصن؛ تصديقُ قولِ رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، فقال شعراً:

تَبَارَكَ سَائِقُ الْبَقَرَاتِ إنّي *** رَأَيْت اللهَ يُهْدِي كُلّ هَادِ

وَمَنْ يَكُ عَانِدًا عَنْ ذِي تَبُوكَ *** فَإنّا قَدْ أُمِرْنَا بِالْجِهَادِ

وقال خالد بن الوليد لأكيدر: هل لك أن أجيرك من القتل حتى آتي بك رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ على أن تفتح لي دومة؟ قال: نعم، ذلك لك. فلما صالح خالد أكيدر، وأكيدر في وثاق، انطلقَ بهِ خالد حتى أدناهُ من باب الحصن، ونادى أكيدر أهله: افتحوا باب الحصن! فرأوا ذلك، فأبى عليهم مضاد أخو أكيدر، فقال أكيدر لخالد: تعلم والله لا يفتحون لي ما رأوني في وثاق، فَخَلِّ عني فلكَ اللهُ والأمانةُ أن أفتحَ لك الحصن إن أنت صالحتني على أهلهِ. قال خالد: فإنّي أصالِحك. فقال أكيدر: إن شِئْت حكمتك وإن شِئْت حكمني. قال خالد: بل، نقبل منك ما أعطيت. فصالحهُ على ألفي بعير، وثمانمائة رأس[302]، وأربعمائة درع، وأربعمائة رمح، على أن ينطلق به وأخيه إلى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، فيحكم فيهما حكمه. فلما قاضاهُ خالد على ذلك خلّى سبيله ففتح الحصن، فدخله خالد وأوثق أخاه مضاداً أخا أكيدر، وأخذ ما صالح عليه من الإبل والرقيق والسلاح، ثم خرج قافلاً إلى المدينة، ومعه أكيدر ومضاد[303]، فلما قَدِم بأكيدر على رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ صالحهُ على الجزية، وحقن دمه ودم أخيه، وخَلّى سبيلَهُما. وكتب رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ كتاباً فيهِ أمانهم وما صالحهم، وختمهُ يومئذٍ بظُفرِهِ[304].

كتاب دومة الجندل:

"بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتابٌ من محمد رسول الله، لأكيدر حين أجاب إلى الإسلام، وخلع الأنداد والأصنام، مع خالد بن الوليد سيف الله، في دومة الجندل وأكنافها، وإن لنا الضاحية[305] من الضحل[306]، والبور[307]، والمعامي[308]، وأغفال الأرض[309]، والحلقة، والسلاح، والحافر[310]، والحصن. ولكم الضامنة من النخل[311]، والمعين[312] من المعمور بعد الخمس. لا تعدل سارحتكم، ولا تعد فاردتكم[313]. ولا يحظر عليكم النبات[314]، ولا يؤخذ منكم عشر البتات[315]. تقيمون الصلاة لوقتها، وتؤتون الزكاة لحقها. عليكم بذلك العهد والميثاق، ولكم بذلك الصدق والوفاء. شَهِد اللهُ، ومن حضرَ مِنَ المسلمين "[316].

والمتأملُ لكتاب النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، لأكيدر، يجد الآتي:

1– أن أكيدر إعتنق الإسلام هو وأهل دومة، وأهدى للنبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ كسوة. ذكر المحدثون، عن أنس رضي الله عنه قال: أُهدِيَّ للنبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ جبة سندس، وكان يَنهى عن الحرير، فَعجبَ الناس منها، فقال: والذي نفسُ مُحمدٍ بيدهِ، لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا. وقال سعيد عن قتادة عن أنس: إن " أكيدر دومة الجندل "، أهدى للنبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾[317]، وأيّدَ ذلك كُتَّاب المغازي والسير[318]. ولكن البلاذري قال: أن أكيدر لما قَدِمَ على رسول الله أسلم، فكتبَ لهُ كتاباً. فلما قُبِضَ النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، منعَ الصدقة ونقضَ العهد[319]، وقُتِلَ أكيدر في حروب الردة عام (12هـ)، على يد خالد بن الوليد، وعياض ابن غنم. أما الذي ثَبُتَ على إسلامهِ؛ فهو حريث أخو أكيدر. أما مضاد أخو الملك أكيدر؛ فلم يُسلِم وبَقِيَّ على نصرانيته، فأمّنهُ الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، ووضع عليهِ الجزية مقابل الحماية والأمان، وكتبَ لهُ كِتاباً، وختمهُ بظُفرهِ[320].

2– أن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، لم يفرض عليهم جزية، وذلك لإسلامهم.

3– يدل هذا الكتاب على مدى سماحة النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، فلم يُعامِلهم كأسرى حرب، وإنما عامَلهم معاملةَ المسلمين، حتى ولو كانَ إسلامهم تقية.

4– ما أخذهُ خالد بن الوليد من أكيدر ليسَ بغنيمة، وإنما يُعتَبر هدية من أكيدر، لأنهُ هو الذي أعطاهُ بنفسه. وكانت هذه بداية تفكيرهُ بالإسلام، لأنهُ رأى فيهِ ما لَم يرهُ في حُلفاءهِ السابقين.

كتاب أهل أَيْلَة[321]:

ذكر كُتَّاب المغازي والسير: أن يُحَنَّة بن رؤبة صاحب أَيْلَة قَدِم إلى النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وهو بتبوك، فصالحهُ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ عَلَى أن جعل لهُ عَلَى كل حالمٍ بأرضهِ في السنة ديناراً، فبلغ ذلك ثلاثمائة دينار، واشترط عليهم قرى من مر بهم منَ المسلمين، وكتبَ لهم كتاباً بأن يحفظوا ويمنعوا[322].

وكان كتاب النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ " بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ، هَذَا أَمَنَةٌ مِنْ اللّهِ وَمُحَمّدٍ النّبِيّ رَسُولِ اللّهِ لِيَحْنَةَ بْنِ رُؤْبَةَ وَأَهْلِ أَيْلَةَ، لِسُفُنِهِمْ وَسَائِرِهِمْ فِي الْبَرّ وَالْبَحْرِ، لَهُمْ ذِمّةُ اللّهِ وَذِمّةُ مُحَمّدٍ رَسُولِ اللّهِ، وَلِمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الشّامِ وَأَهْلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِ الْبَحْرِ. وَمَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا فَإِنّهُ لَا يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ، وَإِنّهُ طَيّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنْ النّاسِ، وَإِنّهُ لَا يَحِلّ أَنْ يُمْنَعُوا مَاءً يُرِيدُونَهُ، وَلَا طَرِيقًا يُرِيدُونَهُ مِنْ بَرّ أَوْ بَحْرٍ. هَذَا كِتَابُ جُهَيْمِ بْنِ الصّلْتِ وَشُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ بِإِذْنِ رَسُولِ اللّهِ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾. وَوَضَعَ رَسُولُ اللّهِ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ الْجِزْيَةَ عَلَى أَهْلِ أَيْلَةَ، ثَلَاثَمِائَةِ دِينَارٍ كُلّ سَنَةٍ، وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةِ رَجُلٍ "[323].

روى الواقدي عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه، قال رَأَيْت يُحَنّةَ بْنَ رُؤْبَةَ يَوْمَ أُتِيَ[324] بِهِ إلَى النّبِيّ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ عَلَيْهِ صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَهُوَ مَعْقُودُ النّاصِيَةِ، فَلَمّا رَأَى النّبِيّ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ كَفّرَ[325]، وَأَوْمَأَ بِرَأْسِهِ، فَأَوْمَأَ إلَيْهِ النّبِيّ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ارْفَعْ رَأْسَك! وَصَالَحَهُ يَوْمَئِذٍ، وَكَسَاهُ رَسُولُ اللّهِ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بُرْدًا يُمْنَةً[326]، وَأَمَرَ لَهُ بِمَنْزِلٍ عِنْدَ بِلَالٍ[327].

روى البخاري عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيّ ، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ تَبُوكَ، وَأَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ لِلنَّبِيِّ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بَغْلَةً بَيْضَاءَ، وَكَسَاهُ بُرْدًا، وَكَتَبَ لَهُ بِبَحْرِهِمْ[328]، وزاد الخلفاء من بني أمية على جزية أهل أَيْلَة[329]، فلما كان عمر بن عبد العزيز لم يأخذ منهم غير ثلاثمائة[330].

كتاب أهل أَذْرُحَ [331] وجَرْبَاءَ [332]:

ذكر كُتَّاب المغازي والسير؛ أنَّ النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ كتبَ لأهل جَرباء وأذرُح كِتاباً حينما قدموا عليه بتبوك. جاء فيه: " بسم الله الرَّحمن الرَّحيم. هذا كتاب من محمَّد النَّبيّ رسول الله، لأهل جرباء وأذرح، أنَّهم آمنون بأمان الله وأمان محمد، وأنَّ عليهم مائة دينار في كل رجب، ومائة أوقية طيبة، وأنَّ الله عليهم كفيل بالنّصح والإحسان إلى المسلمين، ومن لجأ إليهم من المسلمين "[333].

قال الواقدي: نسختُ كتاب أذرح وإذا فيه: " بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ، مِنْ مُحَمّدٍ النّبِيّ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ لِأَهْلِ أَذْرُحَ، أَنّهُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللهِ وَأَمَانِ مُحَمّدٍ، وَأَنّ عَلَيْهِمْ مِائَةَ دِينَارٍ فِي كُلّ رَجَبٍ وَافِيَةٍ طَيّبَةٍ، وَاَللهُ كَفِيلٌ عَلَيْهِمْ بِالنّصْحِ وَالْإِحْسَانِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ لَجَأَ إلَيْهِمْ من المسلمين من المخافة والتّعزير إذا خَشَوْا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ آمِنُونَ، حَتّى يُحْدِثَ إلَيْهِمْ مُحَمّدٌ قَبْلَ خُرُوجِه "[334].

ومن خلال الروايتين، يتضح الآتي:

1– أنَّ النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قد جمعَ أهل أَذرُح وجَربَاء في كتابٍ واحد، ويرجع عدم وجود كتاب خاص بأهل جرباء، نظراً لأنها قرية من قُرى أَذرُح.

2– ما ذُكِرَ من زيادة في الرواية الأولى، " مائة أوقية طيبة "، فهذا إذا ما جُمِع بين الإثنين – أّذرُح والجَربَاء-.

3– ما ذُكِرَ في الرواية الثانية، " مائة دينار فقط "، فذلك خاص بأَذرُح، فكانت جزية أَذرُح مائة دينار، وجزية جَربَاء مائة أوقية.

كتاب أهل مَقْنَا[335]:

قال البلاذري[336]: وصالح أهل مَقْنَا على رُبعِ عُروكِهم وغُزولِهم، وكانوا يهود. وقال البلاذري: أخبرني بعض أهل مصر أنهُ رأى كتابهم بعينهِ في جلدٍ أحمرٍ دارس الخط، فنسخهُ وأُملِيَّ على نُسخَتِهِ.

" بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله، إلى بني حبيبة وأهل مَقْنا، سلم أنتم، فإنهُ أُنزِلَ عَليَّ أنكم راجعون إلى قريتكم، فإذا جاءكم كتابي هذا فإنكم آمنون، ولكم ذمة الله وذمة رسوله، وإن رسول الله قد غفر لكم ذنوبكم، وكل دم اتبعتم به لا شريك لكم في قريتكم إلا رسول الله، أو رسول رسول الله. وإنه لا ظلم عليكم ولا عدوان، وإن رسول الله يجيركم مما يجير به نفسه، فإن لرسول الله بزتكم ورقيقكم والكراع والحلقة؛ إلا ما عفا عنهُ رسول الله أو رسول رسول الله، وأن

عليكم بعد ذلك ربعَ ما أخرجت نخيلكم، وربع ما صادت عروككم، وربع ما اغتزلت نساؤكم، وأنكم قد ثريتم بعد ذلكم، ورفعكم رسول الله عن كل جزية وسخرة، فإن سمعتم وأطعتم فعلى رسول الله أن يكرم كريمكم، ويعفو عن مسيئكم، ومن إئتمر في بني حبيبة وأهل مَقْنا من المسلمين خيراً فهو خير لكم، ومن أطلعهم بِشَّرٍ فهو شَرٌ له، وليس عليكم أمير إلا من أنفسكم، أو من أهل بيت رسول الله، وكتب علي بن أبي طالب في سنة **تسع** "[337].

وقال الواقدي: وَكَتَبَ لِأَهْلِ مَقْنَا أَنّهُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللهِ وَأَمَانِ مُحَمّدٍ، وَأَنّ عَلَيْهِمْ رُبْعَ غُزُولِهِمْ وَرُبْعَ ثِمَارِهِمْ[338].

ومما سبق ذكرهُ، يتضح مايلي:

1– بهذهِ المعاهدات، أمَّنَ الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ الشمال كلهُ، وتم بذلك إخضاع شبه الجزيرة العربية كلها تحت راية الإسلام.

2– أمَّنَ رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أهل دومة الجندل بإسلامهم، وأهل أَيْلَة، وجَربَاء، وأَذرُح، ومَقْنا، بوضع الجزية عليهم، ولم يُرغِمهُم على إعتناق الإسلام.

3– ان أمراء الحدود الشمالية كان بعضهُم نصارى كأَيْلَة، وبعضهم يهود كمَقْنَا، وقد ساوى الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بينهم في وضع الجزية. فلم يضطَهِد اليهود، برغم مواقفهم العِدائية من الإسلام. إلاَّ أنَّ الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ تَرفَّقَ بهم، ليظل ذلكَ دليلاً أبدياً على سماحة الإسلام، وَرَدَّاً على إفتراءات اليهود، وموقفهم منهُ.

4– عقدَ رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ لأكيدر عن أهل دومة الجندل، ويُحَنَّة عن أهل أَيْلَة، وأرسلَ أهل جَربَاء وأَذرُح ومَقْنا وفُوداً عنهم، لتتفاوضَ مع

الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، في أمر الصلح، وذلك لِفرار ملوكهم مع مقدمة جيش الروم، عندما إنسحبت من البلقاء.

5– ان ما فعلهُ رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ لهو أبلغ دليل على سماحة الإسلام. ودليلٌ على أنَّ الإسلام لم يكن يريدُ قِتالاً، ولم يُنشَر بالسيف، ولو كانَ أمرهُ كذلِكَ، لَمَّا كان أسهل من إجبار هؤلاءِ الضُعفاء على إعتناق الإسلام.

6– لَم يتعرض المفسرون لهذهِ الكُتب، ومرجع ذلك، لِعدَم وجود آيات تدل عليها صراحةً. أما المحدثون، فلم تذكر كُتب الصِحاح منها إلا القليل من الأحاديث؛ التي لا تكفي لتوضيحها. إلاّ أنَّ كُتَّاب المغازي والسير كانوا أكثرَ تفصيلاً وتوضيحاً لها؛ مِن ذِكرٍ لِنصوصِ هذهِ المُعاهدات، وما تَرتَّبَ عليها؛ خاصةً وأنَّ هذهِ المُعاهدات؛ هي أبلغُ دليلٍ على سماحةِ الإسلام.

الفصل الخامس

عودة الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ من تبوك إلى المدينة

عاد النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ إلى المدينة، بعد أن مكثَ في تبوك عشرين ليلة[339]. فقد رُويَّ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أقام رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بتبوك عشرين ليلةً يقصر الصلاة[340]. وكذا قال إبن سعد في الطبقات[341].

وروى إبن هشام، أن الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أَقَّامَ بِتَبُوكَ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، لَمْ يُجَاوِزْهَا، ثُمَّ انْصَرَفَ قَافِلًا إلَى الْمَدِينَةِ[342].

وفي طريق العودة إلى حين وصول النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾؛ المدينة، حدثت بعض الأمور؛ التي لا بُدَّ لنَّا مِن ذكرها.

أولاً: محاولة قتل النبي محمد ﴿صلى الله عليه وسلم﴾:

في طريق رجوع النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ من تبوك قاصداً مدينتهُ المنورة، كادوا لهُ المنافقون، وأرادوا أن يقتلوهُ، وأنّى - بتشديد النون - لهم ذلك. فاللهُ سبحانهُ وتعالى عاصِمهُ من كيدهم ومكرهم، بل وعاصمهُ مِنَ الناسِ جميعاً.

فـعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ النّبِيُّ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يَحْرُسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}[343]، فَأَخْرَجَ النَّبِيُّ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ رَأْسَهُ مِنَ الْقُبَّةِ فَقَالَ لَهُمْ: "أَيُّهَا النَّاسُ، انْصَرِفُوا، فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ"[344].

ذكر أبو الأسود في " مغازيه "، عن عروة قال: " وَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ إلَى الْمَدِينَةِ، حَتَّى إذَا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ مَكَرَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ نَاسٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَتَآمَرُوا أَنْ يَطْرَحُوهُ مِنْ رَأْسِ عَقَبَةٍ[345] فِي الطَّرِيقِ، فَلَمَّا بَلَغُوا الْعَقَبَةَ أَرَادُوا أَنْ يَسْلُكُوهَا مَعَهُ، فَلَمَّا غَشِيَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أُخْبِرَ خَبَرَهُمْ فَقَالَ: مَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَأْخُذَ بِبَطْنِ الْوَادِي فَإِنَّهُ أَوْسَعُ لَكُمْ، وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ الْعَقَبَةَ وَأَخَذَ النَّاسُ بِبَطْنِ الْوَادِي إِلَّا النَّفَرُ الَّذِينَ هَمُّوا بِالْمَكْرِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، لَمَّا سَمِعُوا بِذَلِكَ اسْتَعَدُّوا وَتَلَثَّمُوا، وَقَدْ هَمُّوا بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ[346]، وَعَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ[347]، فَمَشَيَا مَعَهُ، وَأَمَرَ عَمّاراً أَنْ يَأْخُذَ بِزِمَامِ النَّاقَةِ، وَأَمَرَ حُذَيْفَةَ أَنْ يَسُوقَهَا، فَبَيْنَا هُمْ يَسِيرُونَ إذْ سَمِعُوا وَكْزَةَ الْقَوْمِ مِنْ وَرَائِهِمْ قَدْ غَشَوْهُ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، وَأَمَرَ حذيفة أَنْ يَرُدَّهُمْ، وَأَبْصَرَ حذيفة غَضَبَ رَسُولِ اللَّهِ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، فَرَجَعَ وَمَعَهُ مِحْجَنٌ[348]، وَاسْتَقْبَلَ وُجُوهَ رَوَاحِلِهِمْ، فَضَرَبَهَا ضَرْبًا بِالْمِحْجَنِ، وَأَبْصَرَ الْقَوْمَ وَهُمْ مُتَلَثِّمُونَ وَلَا يَشْعُرُ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ فِعْلُ الْمُسَافِرِ، فَأَرْعَبَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حِينَ أَبْصَرُوا حذيفة، وَظَنُّوا أَنَّ مَكْرَهُمْ قَدْ ظَهَرَ عَلَيْهِ، فَأَسْرَعُوا حَتَّى خَالَطُوا النَّاسَ، وَأَقْبَلَ حذيفة حَتَّى أَدْرَكَ رَسُولَ اللَّهِ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، فَلَمَّا أَدْرَكَهُ قَالَ: اضْرِبِ الرَّاحِلَةَ يَا حذيفة، وَامْشِ أَنْتَ يَا عمار، فَأَسْرَعُوا حَتَّى اسْتَوَوْا بِأَعْلَاهَا، فَخَرَجُوا مِنَ الْعَقَبَةِ يَنْتَظِرُونَ النَّاسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ لحذيفة: هَلْ عَرَفْتَ مِنْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ أَوِ الرَّكْبِ أَحَدًا؟ قَالَ حذيفة: عَرَفْتُ رَاحِلَةَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، وَقَالَ: كَانَتْ ظُلْمَةُ اللَّيْلِ، وَغَشِيَتْهُمْ، وَهُمْ مُتَلَثِّمُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾: هَلْ عَلِمْتُمْ مَا كَانَ شَأْنُ الرَّكْبِ وَمَا أَرَادُوا؟ قَالُوا: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهُمْ مَكَرُوا لِيَسِيرُوا مَعِي حَتَّى إذَا اطَّلَعْتُ فِي الْعَقَبَةِ طَرَحُونِي مِنْهَا، قَالُوا: أَوَلَا تَأْمُرُ بِهِمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إذًا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ؟ قَالَ: أَكْرَهُ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ وَيَقُولُوا: إنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَضَعَ يَدَهُ فِي أَصْحَابِهِ، فَسَمَّاهُمْ لَهُمَا وَقَالَ اكْتُمَاهُمْ"[349].

يقول الواقدي في مغازيه: " فَلَمّا أَصْبَحَ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قَالَ لَهُ أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا مَنَعَك الْبَارِحَةَ مِنْ سُلُوكِ الْوَادِي، فَقَدْ كَانَ أَسْهَلَ مِنْ الْعَقَبَةِ؟ قَالَ: يَا أَبَا يَحْيَى، أَتَدْرِي مَا أَرَادَ الْبَارِحَةَ الْمُنَافِقُونَ وَمَا اهْتَمّوا بِهِ؟ قَالُوا: نَتْبَعُهُ فِي الْعَقَبَةِ، فَإِذَا أَظْلَمَ اللّيْلُ عَلَيْهِ قَطَعُوا أَنْسَاعَ[350] رَاحِلَتِي وَنَخَسُوهَا حَتّى يَطْرَحُونِي مِنْ رَاحِلَتِي. فَقَالَ أُسَيْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَدْ اجْتَمَعَ النّاسُ وَنَزَلُوا، فَمُرْ كُلّ بَطْنٍ أَنْ يَقْتُلَ الرّجُلَ الّذِي هَمّ بِهَذَا، فَيَكُونُ الرّجُلُ مِنْ عَشِيرَتِهِ هُوَ الّذِي يَقْتُلُهُ، وَإِنْ أَحْبَبْت، وَاَلّذِي بَعَثَك بِالْحَقّ، فَنَبّئْنِي بِهِمْ، فَلَا تَبْرَحُ حَتّى آتِيَكُمْ بِرُءُوسِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا فِي النّبِيتِ[351]، فَكَفَيْتُكَهُمْ، وَأَمَرْت سَيّدَ الْخَزْرَجِ فَكَفَاك مَنْ فِي نَاحِيَتِهِ، فَإِنّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ يُتْرَكُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ حَتّى مَتَى نُدَاهِنُهُمْ وَقَدْ صَارُوا الْيَوْمَ فِي الْقِلّةِ وَالذّلّةِ، وَضَرَبَ الْإِسْلَامُ بِجِرَانِهِ[352]! فما يُسْتَبْقَى مِنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ لِأُسَيْدٍ: إنّي أَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ النّاسُ إنّ مُحَمّدًا لَمّا انْقَضَتْ الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ وَضَعَ

يَدَهُ فِي قَتْلِ أَصْحَابِهِ! فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَهَؤُلَاءِ لَيْسُوا بِأَصْحَابٍ! قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلّا اللهُ؟ قَالَ:

بَلَى، وَلَا شَهَادَةَ لَهُمْ! قَالَ: أَلَيْسَ يُظْهِرُونَ أَنّي رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَا شَهَادَةَ لَهُمْ! قَالَ: فَقَدْ نُهِيت عَنْ قَتْلِ أُولَئِكَ. وكَانَ أَهْلُ الْعَقَبَةِ الّذِينَ أَرَادُوا بِالنّبِيّ (صلى الله عليه وسلم) ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، قَدْ سَمّاهُمْ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) لِحُذَيْفَةَ وَعَمّارٍ رَحِمَهُمَا اللهُ[353].

قال إبن القيم: هم إثنا عشر رجلاً، الذينَّ حاربوا الله ورسوله وأرادوا قتله، فأخبرهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقولهم ومنطقهم وسرهم وعلانيتهم، وأطلَعَ الله سبحانهُ؛ نبيهُ على ذلك بعلمه. ومات الإثنا عشرَ منافقين، محاربينَ لله ولرسوله. وذلك قولهُ عزَّ وجل: {وهموا بما لم ينالوا}[354]، وكان أبو عامر[355] رأسهم، ولهُ بنوا مسجد الضِرَّار، وهو الذي كان يقال لهُ الراهب، فسماهُ رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، الفاسق[356].

ثانياً: مخالفة المنافقين لأمر النبي (صلى الله عليه وسلم):

قال ابن إسحاق، ومحمد بن عمر: (وأقبل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قافلاً حتى إذا كان بين تبوك وواِدٍ يقال لهُ: وادي الناقة، وكان فيه وشل[357] يخرج منهُ، في أسفلهِ قدر ما يروي الراكبين أو الثلاثة، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "من سبقنا إلى ذلك الوشل فلا يستقين منهُ شيئاً حتى نأتيهِ". فسبقهُ إليهِ أربعة من المنافقين: معتّب بن قشير، والحارث بن يزيد الطائيّ حليف في بني عمرو بن عوف، ووديعة بن ثابت، وزيد بن اللّصيت، فلما أتاهُ رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وقفَ عليه، فلم يَرَّ فيه شيئا. فقال: " من سبقنا إلى هذا الماء؟ "، فقيل يا رسول الله فلان وفلان، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "ألم أنهكم؟"، فلعنهم ودعا عليهم، ثم نزل ووضع يده تحت الوشل، ثم مسحه بإصبعيهِ، حتى اجتمع منه في كفهِ ماء قليل، ثم نضحهُ[358]، ثم مسحه بيده، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو، فانخرق منه الماء، قال معاذ بن جبل: والذي نفسي بيده لقد سمعت له من شدّة انخراقه مثل الصواعق، فشرب الناس ما شاءوا، واستقوا ما شاءوا، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للناس: "لَئِن بقيتم. أو من بقي منكم"، لتسمعن بهذا الوادي، وهو أخصب مما بين يديه ومما خلفه)[359].

ثالثاً: لَنَغِيظَنّ الشّيْطَانَ كَمَا أَغَاظَنَا:

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نَسِيرُ فِي الْجَيْشِ لَيْلًا، وَهُوَ قَافِلٌ وَأَنَا مَعَهُ، إذْ خَفَقَ خَفْقَةً وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَمَالَ عَلَى شِقّهِ، فَدَنَوْت مِنْهُ فَدَعَمْته[360]، فَانْتَبَهَ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟

قُلْت: أَبُو قَتَادَةَ يَا رَسُولَ اللهِ، خِفْت أَنْ تَسْقُطَ فَدَعَمْتُك. فَقَالَ: حَفِظَك اللهُ كَمَا حَفِظْت رَسُولَ اللهِ! ثُمّ سَارَ غَيْرَ كَثِيرٍ، ثُمّ فَعَلَ مِثْلَهَا، فَدَعَمْته فَانْتَبَهَ فَقَالَ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، هَلْ لَك فِي التّعْرِيسِ[361]؟ فَقُلْت: مَا شِئْت يَا رَسُولَ اللهِ! فَقَالَ: اُنْظُرْ مَنْ خَلْفَك! فَنَظَرْت فَإِذَا رَجُلَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ، فَقَالَ: اُدْعُهُمْ! فَقُلْت: أَجِيبُوا رَسُولَ اللهِ! فَجَاءُوا فَعَرّسْنَا، وَنَحْنُ خَمْسَةٌ بِرَسُولِ اللهِ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، وَمَعِي إدَاوَةٌ فِيهَا مَاءٌ وَرَكْوَةٌ[362] لِي أَشْرَبُ فِيهَا، فَنِمْنَا فَمَا انْتَبَهْنَا إلّا بِحَرّ الشّمْسِ، فَقُلْنَا: إنّا لِلّهِ! فَاتَنَا الصّبْحُ! قَالَ رَسُولُ اللهِ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾: "لَنَغِيظَنّ الشّيْطَانَ كَمَا أَغَاظَنَا". فَتَوَضّأَ مِنْ مَاءِ الْإِدَاوَةِ فَفَضَلَ فَضْلَةٌ فَقَالَ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، احْتَفِظْ بِمَا فِي الْإِدَاوَةِ وَالرّكْوَةِ فَإِنّ لَهَا شَأْنًا، ثُمّ صَلّى بِنَا الْفَجْرَ بَعْدَ طُلُوعِ الشّمْسِ فَقَرَأَ بِالْمَائِدَةِ، فَلَمّا انْصَرَفَ مِنْ الصّلَاةِ قَالَ: أَمَا إنّهُمْ لَوْ أَطَاعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ لَرَشَدُوا. وَذَلِك أَنّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ أَرَادَا أَنْ يَنْزِلَا بِالْجَيْشِ عَلَى الْمَاءِ، فَأَبَوْا ذَلِكَ عَلَيْهِمَا، فَنَزَلُوا عَلَى غَيْرِ مَاءٍ بِفَلَاةٍ مِنْ الْأَرْضِ. فَرَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، فَلَحِقَ الْجَيْشَ عِنْدَ زَوَالِ الشّمْسِ وَنَحْنُ مَعَهُ.

دَرْسٌ فِقْهِيٌ مِنَ الدُروسِ المُحَمَدِيَّة:

يقول إبن رجب في فتح الباري: "لما نام النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ عن صلاة الغداة استيقظ، فقال: (**لَنَغِيظَنّ الشّيْطَانَ كَمَا أَغَاظَنَا**)، فقرأ يومئذ بسورة المائدة في صلاة الفجر. وهذا غريب جداً. وظاهر الأحاديث يدل على أنه جهر في صلاتهِ تلك بالقراءة؛ فإنه صلى كما كان يصلي كل يوم، وقد تقدم في كثير من الروايات أنه صلى ركعتي الفجر، ولم يذكر ذلك في بعض الروايات. وقد اختلف العلماء في قضاء ركعتي الفجر لمن نام عنها حتى تطلع الشمس: فذهب الأكثرون إلى أنها تُقضى قبل الصلاة المفروضة، منهم: أبو حنيفة والثوري والحسن بن حي والشافعي وأحمد وأبو ثور وداود، وهو قول أشهب وغيره من أصحاب مالك. وسُئِلَ أحمد: هل قال أحد: لا يصلي ركعتي الفجر؟ قال: لا. وقال مالك: لا يركع ركعتي الفجر، ويبدأ بالمفروضة. قال: ولم يبلغنا أن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ركعهما. ومالك إنما قال بحسب ما بلغهُ من الروايات في هذا الباب، وقد صح عند غيره أنه ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ركعهما".

وقد روي في بعض طرق حديث أبي قتادة في هذا الباب زيادةً أخرى، وهي: أن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بدأ بالوتر فقضاهُ. قال أبو بكر الأثرم: ثنا عبد الحميد بن أبان الواسطي: ثنا خالد بن عمرو، عن شعبة، عن ثابت البناني، عن أنس، وعن عبد الله بن رباح، عن أبي قتادة، أن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ نام، فلم يستيقظ حتى ارتفعت الشمس، ثم استيقظ فقام، فأوتر، فصلى الركعتين، ثم صلى بأصحابه. وذكر أنس في إسناده ليس بمحفوظ. وخالد بن عمرو، هو: القرشي الأموي الكوفي، ضعيف الحديث جداً. وذكر محمد بن يحيى الهمداني في صحيحهِ، قال: روى قتيبة، عن عبد الله بن الحارث، عن

ثابت، عن بكر، عن عبد الله بن رباح، عن أبي قتادة، أن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ لما أيقظهم حر الشمس، أمرهم أن يوتروا. كذا ذكره تعليقاً، ولم يسنده[363].

رابعاً: حَبسَهُم العُذر:

روى البخاري وابن سعد، عن أنس وجابر رضي الله عنهم، أن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ لما رجع من غزوة تبوك، فدنا من المدينة فقال: إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلا كَانُوا مَعَكُمْ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: " نَعَمْ، قَدْ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ "[364].

وفي هذا الحديثِ؛ درساً من دروسِ النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، وفيهِ ثلاثُ فوائد:

الأول: أَنَّ المجاهدَ في سبيل الله يُكتَب لهُ عملهُ منذ أن خرج، فيكتب لهُ مشيهُ وقيامهُ، وقعودهُ، وصنعهُ للطعام، وحركاتهُ جميعاً تكتب له، بمجرد خروجه من بيته. وليس جهاده فقط؛ هو قتال العدو إذا لقيه، وإنما هو في عملٍ صالحٍ وجهادٍ بمجرد الخروج، ولهذا يقول النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾: (ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً).

الثاني: أن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بَينَّ سبب تخلف القوم الذينَّ تمنوا الغزو، فقال: (حبسهم العذر)، وبينَّ أنهم يستوون مع الصحابة الذينَّ خرجوا للغزوة؛ في الأجر والثواب عند الله تعالى. ففي رواية قال: (إلاَّ شارَكوكُم في الأَجر)[365].

والثالث: إن العمل بالنية، وإن الإنسان إذا هَمَّ بالعمل الصالح وقصدهُ، ونوى الخير، فحُبسهُ وأقعدهُ العذر عن فعلهِ، فلهُ أجرهُ كاملاً. وهذا الحديثُ خيرُ دَليل.

خامساً: هذهِ طابة[366] .. وهذا أُحُد[367]:

روى الإمام أحمد والشيخان، عن أبي قتادة رضي الله عنه، قال: أقبلنا مع رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ من غزوة تبوك حتى أشرفنا على المدينة، قال: " هذه طابة "، وزاد ابن أبي شيبة: " أسكننيها ربّي، تنفي خبث أهلها كما ينفي الكير خبث الحديد ". إنتهى[368].

وروى البخاري، عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ رضي الله عنه، أَقْبَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، مِنْ تَبُوكَ، حَتَّى أَشْرَفْنَا عَلَى المَدِينَةِ، فَقَالَ: "هَذِهِ طَابَةٌ "[369].

فلما رأى أحُداً، قال: "هذا أحُد جبل يحبّنا ونحبه"، ألا أخبركم بخير دور الأنصار ، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: " خير دور الأنصار بنو النجار، ثم دار بني عبد الأشهل، ثم دار بني ساعدة ". فقال أبو أُسيد: ألم تَرَّ أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ خيرّ دور الأنصار، فجعلنا آخرها داراً؟ فأدركَ سعد رسول الله ﴿ﷺ﴾، فقال: يا رسول الله خيرّت دور الأنصار، فجعلتنا آخرها داراً. فقال: " أو ليس بحسبكم أن تكونوا من الخيار؟ "[370].

وروى البخاري، عَنْ قَتَادَةَ، سَمِعْتُ أَنَسًا رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﴿ﷺ﴾، قَالَ: " هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَاوَنُحِبُّهُ"[371]. يعني أُحُد.

سادساً: مسجد الضِرَار[372]:

وفي أثناء عودة النبي ﴿ﷺ﴾ من تبوك؛ قاصداً المدينة، نَزَلَ بِذِي أَوَانٌ[373]، بَلَدٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ[374].

وأثناء وصوله ذي أوانٌ، نزلت عليهِ ﴿ﷺ﴾؛ الآيات الكريمة {وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (*) لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ}[375].

وسبب نزول هذه الآيات الكريمات: أنه كان بالمدينة ـ قبل مَقدِم رسول الله ﴿ﷺ﴾ إليها ـ رجلٌ مِنَ الخزرج، يقال له أبو عامر الراهب[376]. وهو الذي قال فيهِ رَبُّ العِزَّة، {وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}، يَعْنِي أَبَا عَامِرٍ[377].

(وأبا عامر هذا كان قد تنصر في الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب، وكان فيه عبادة في الجاهلية، وله شرفٌ في الخزرج كبير، فلما قَدِمَ رسول الله ﴿ﷺ﴾ مهاجرًا إلى المدينة واجتمع المسلمون عليه، وصارت للإسلام كلمة عالية، وأظهرهم الله يوم بدر، شرق اللعين أبو عامر بريقه، وبارز بالعداوة وظاهر بها، وخرج فارًّا إلى كفار مكة من مشركي قريش يحرضهم على حرب رسول الله ﴿ﷺ﴾، وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين، فوقع في إحداهن رسول الله

(صلى الله عليه وسلم)، وأصيبَ ذلك اليوم فَجُرِحَ، وكسرت رباعيتهُ اليُمنى والسُفلى، وشُجَّ رأسهُ؛ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهِ.

وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلى قومهِ من الأنصار فخاطبهم، واستمالهم إلى نصره وموافقته، فلما عرفوا كلامه قالوا: لا أنعم الله بك عيناً يا فاسق، يا عدو الله، ونالوا منه وسبوه. فرجع وهو يقول: والله لقد أصاب قومي بعدي شر.

وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد دعاه إلى الله قبل فراره، وقرأ عليه القرآن، فأبى أن يسلم وتمرد، فدعا عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، أن يموت بعيدًا طريدًا فنالتهُ هذه الدعوة.

وذلك أنَّهُ لما فرغ الناس من أُحُدٍ، ورأى أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ما عليهِ من الإرتفاع والظهور. ذهب إلى هرقل -ملك الروم-، يستنصرهُ على النبي (صلى الله عليه وسلم)، فوعدهُ ومنَّاهُ، وأقام عندهُ، وكتبَ إلى جماعةٍ من قومهِ الأنصار؛ من أهل النفاق والريب، يعدهم ويمنيهم بجيشٍ يُقاتِل بهِ رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ويغلبه، ويردهُ عَمَّا هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا له مَعقلاً يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده، لأداء كتبه، ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك. فشرعوا في بناء مسجدٍ مجاورٍ لمسجد قباء. فبنوهُ، وأحكموهُ، وفرغوا منه، قبلَ خروج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى تبوك.

وَقَبل خروج الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى تبوك؛ كَانَ قَدْ جَاءَهُ أَصْحَابُ مَسْجِدِ الضّرَارِ، جَاءُوا خَمْسَةَ نَفَرٍ مِنْهُمْ: مُعَتّبُ بْنُ قُشَيْرٍ، وثعلبة ابن حاطب، وخذام بْنُ خَالِدٍ، وَأَبُو حَبِيبَةَ بْنُ الْأَزْعَرِ، وَعَبْدُ الله بن نبتل إبن الحارث[378]. فسألوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم ليحتجوا بصلاتهِ فيهِ على تقريرهِ وإثباتهِ، وذكروا أنهم بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية، فعصمهُ الله من الصلاة فيه، فقال (صلى الله عليه وسلم): "إنَّا على سفرٍ، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله".

فلما قفل (صلى الله عليه وسلم)، راجعًا إلى المدينة من تبوك، ولم يَبْقَّ بينهُ وبينها إلا يوم أو بعض يوم، نزل عليه جبريل –عليهِ السلام– بخبر مسجد الضِرار، وما اعتمدهُ بانوهُ من الكفر والتفريقِ بين جماعة المؤمنين في مسجدهم،

مسجد قباء الذي أُسِّسَ من أول يومِ على التقوى، فبعث رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ إلى ذلك المسجد من هدمه، قبل مقدمه المدينة)[379].

هدم المسجد وحرقهُ:

يقول إبن القيم: دَعَّا رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، مالك بن الدخشم[380] أخا بني سلمة بن عوف، ومعن بن عدي العجلاني[381]، فقال: إنطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدماه، وحرقاه، فخرجا مسرعين، حتى أتيا بني سالم بن عوف، وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك لمعن: أنظرني حتى أخرج إليك بنارٍ من أهلي، ودخل إلى أهله فأخذ سعفاً من النخل، فأشعل فيه نارا، ثم خرجا يشتدان حتى دخلاهُ، وفيه أهلهِ، فحرقاه وهدماه، فتفرقوا عنه. فأنزل الله فيهِ {وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ...}.

أما الواقدي فيقول: دَعَا رَسُولُ اللهِ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، عَاصِمَ بْنَ عَدِيّ الْعَجْلَانِيّ[382]، وَمَالِكَ بْنَ الدّخْشَمِ السّالِمِيّ، فَقَالَ: انْطَلِقَا إلَى هَذَا الْمَسْجِدِ الظّالِمِ أَهْلُهُ فَاهْدِمَاهُ ثم حرّقاه! فخرجا سريعين على أقدامها حَتّى أَتَيَا مَسْجِدَ بَنِي سَالِمٍ، فَقَالَ مَالِكُ بْنُ الدّخْشَمِ لِعَاصِمِ بْنِ عَدِيّ: أَنْظِرْنِي حِينَ أَخْرُجُ إلَيْك بِنَارٍ مِنْ أَهْلِي. فَدَخَلَ إلَى أَهْلِهِ فَأَخَذَ سَعَفًا مِنْ النّخْلِ فَأَشْعَلَ فِيهِ النّارَ. ثُمّ خَرَجَا سَرِيعَيْنِ يَعْدُوَانِ حَتّى انْتَهَيَا إلَيْهِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَهُمْ فِيهِ. فَأَحْرَقْنَاهُ حَتّى احْتَرَقَ، وَكَانَ الّذِي ثَبَتَ فِيهِ مِنْ بَيْنِهِمْ زَيْدُ بْنُ جَارِيَةَ بْنِ عَامِرٍ حَتّى احْتَرَقَتْ أَلْيَتُهُ، فَهَدَمْنَاهُ حَتّى وَضَعْنَاهُ بِالْأَرْضِ، وتفرّقوا[383].

لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً:

روى البيهقي في الدلائل، عن ابن عمر رضي الله عنهم، في قوله تعالى {وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا}؛ هم أناسٌ مِنَ الأنصار، ابتنوا مسجداً، فقال لهم أبو عامر: ابنوا مسجدكم، واستمدوا ما استطعتم من قوة، ومن سلاح. فإنّي ذاهبٌ إلى قيصر ملك الروم، فآتي بجندٍ من الروم، فأُخرِج مُحمداً وأصحابه، فلما فرغوا من مسجدهم، أتوا النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، فقالوا: فرغنا من بناء مسجدنا، ونحن نحب أن تصلي فيه، وتدعو لنا بالبركة، فأنزل الله عز وجل: {لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ }- يعني مسجد قباء -، إلى قوله {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[384][385].

قال الحافظ بن حجر: والجمهور على أن المسجد المراد به، الذي أسِسَّ على التقوى (مسجد قباء)، وقيل هو مسجد المدينة. قال: والحق أنَّ كُلاً منها أُسِسَّ على التقوى[386].

فنهى الله تعالى؛ رسولهُ الكريم (ﷺ)، والمؤمنين؛ عن الصلاة في هذا المسجد نَهْياً مؤكدًا. فقال {لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا}.

عدد من بَنى المسجد:

ذكر إبن إسحاق الذين بنوه: وهم (إثنا عشرَ رجلاً)، منهم: (ثعلبة بن حاطب[387])[388].

أما رأي الواقدي، فيقول: وَكَانَ الّذِينَ بَنَوْا مَسْجِدَ الضّرَارِ خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا: (جَارِيَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ الْعَطّافِ؛ وَهُوَ حِمَارُ الدّارِ[389]، وَابْنُهُ مُجَمّعُ بْنُ جَارِيَةَ، وَهُوَ إمَامُهُمْ، وَابْنُهُ زَيْدُ بن جارية، وهو الذي احْتَرَقَتْ أَلْيَتُهُ فَأَبَى أَنْ يَخْرُجَ. وَابْنُهُ يَزِيدُ بْنُ جَارِيَةَ، وَوَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ، وَخِذَامُ بْنُ خَالِدٍ وَمِنْ دَارِهِ أُخْرِجَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ نَبْتَلٍ، وَبِجَادُ بْنُ عُثْمَانَ، وَأَبُو حَبِيبَةَ بْنُ الْأَزْعَرِ، وَمُعَتّبُ بْنُ قُشَيْرٍ، وَعَبّادُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَثَعْلَبَةُ بْنُ حَاطِبٍ[390][391]).

مِنَ المُعجِزات في قصة المسجد:

عن عاصم بن عدي، يقول: كنّا نتجهّز إلى تبوك مع النبي (ﷺ)، فَرَأَيْت عَبْدَ اللهِ بْنَ نَبْتَلٍ، وَثَعْلَبَةَ بْنَ حَاطِبٍ قَائِمَيْنِ عَلَى مَسْجِدِ الضّرَارِ، وَهُمَا يُصْلِحَانِ مِيزَابًا قَدْ فَرَغَا مِنْهُ، فَقَالَا: يَا عَاصِمُ، أن رسول الله (ﷺ) قَدْ وَعَدَنَا أَنْ يُصَلّيَ فِيهِ إذَا رَجَعَ. فَقُلْت فِي نَفْسِي: وَاَللهِ، مَا بَنَى هَذَا الْمَسْجِدَ إلّا مُنَافِقٌ مَعْرُوفٌ بِالنّفَاقِ، أَسّسَهُ أَبُو حَبِيبَةَ بْنُ الْأَزْعَرِ، وَأُخْرِجَ مِنْ دَارِ خِذَامِ بْنِ خَالِدٍ، وَوَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ فِي هَؤُلَاءِ النّفَرِ، وَالْمَسْجِدُ الّذِي بَنَى رَسُولُ اللهِ (ﷺ) بِيَدِهِ، يُؤَسّسُهُ جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السلام-، يؤمّ به البيت. فو الله مَا رَجَعْنَا مِنْ سَفَرِنَا حَتّى نَزَلَ الْقُرْآنُ بِذَمّهِ، وَذَمّ أَهْلِهِ الّذِينَ جَمَعُوا فِي بِنَائِهِ وَأَعَانُوا فِيهِ[392].

ومِنَ المُعجِزات التي حصلت أيضاً، َأنَّ أَبُو لُبَابَةَ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ[393] قَدْ أَعَانَهُمْ في بناء المسجد بِخَشَبٍ، وَكَانَ غَيْرَ مَغْمُوصٍ[394] عَلَيْهِ فِي النّفَاقِ، وَلَكِنّهُ قَدْ كَانَ يَفْعَلُ أُمُورًا تُكْرَهُ لَهُ. فَلَمّا هُدِمَ الْمَسْجِدُ أَخَذَ أَبُو لُبَابَةَ خَشَبَهُ ذَلِكَ فَبَنَى بِهِ مَنْزِلًا، وَكَانَ بَيْتُهُ الّذِي بَنَاهُ إلَى جَنْبِهِ. قَالَ: فَلَمْ يُولَدْ لَهُ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ مَوْلُودٌ قَطّ، وَلَمْ يَقِفْ فِيهِ حَمَامٌ قَطّ، وَلَمْ تَحْضُنْ[395] فِيهِ دَجَاجَةٌ قَطّ[396].

أضرارُ مَسجِد الضِرار:

يقول أحد المفسرين: وقولُهُ تعالى: {لاَ تَقُمْ فِيهِ}، يعود إلى مسجد الضِرار، حيثُ بُنِيَّ على نيةٍ فاسدةٍ. قال تعالى {وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ...}.

والمتخذون هم المنافقون، وغرضهم من ذلك:

1- مضارة مسجد قُبَاءٍ[397]: ولهذا يُسمى مسجد الضِرار.

2- الكفر بالله: لأنه يُقَرَّر فيهِ الكُفر -والعياذُ بالله-؛ لأن الذين اتخذوهُ هم المنافقون.

3- التفريق بين المؤمنين: فَبدلاً من أن يُصلِي في مسجد قِباء صفٌ أو صفان، يُصلِي فيه نِصفُ صَف، والباقون في المسجد الآخر. والشرعُ لهُ نظرٌ في إجتماع المؤمنين.

4- الإرصاد لمن حاربَ الله ورسولهُ: فعندَ ذهاب أبو عامر الفاسق إلى الشام. كان بينهُ وبين المنافقين؛ مُراسلات. فاتخذوا مسجدَ الضِرار مقراً لهم، بتوجيهاتٍ منهُ، فكانوا يجتمعون فيه لتقرير ما يريدونه من المُكرِ والخديعة للرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وأصحابه رضي الله عنهم.

قال الله تعالى {وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى}، فهذه سنة المنافقين: الأيمان الكاذبة. أي: ما أردنا إلا الحُسنى. والجواب عن هذا اليمين الكاذب؛ {وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}، فَشَهِدَ الله تعالى على كذبهم؛ لأنَّ ما يُسِرُونَّهُ في قُلوبهم. ولا يَعلمُ ما فِيّ القُلوبْ، إلاَّ عَلاَّمُ الغُيوبْ[398].

سابعاً: المُخلَفونَ عن الغزوة[399]:

وَلمَّا إقتربَّ رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ من المدينة، خرج الصبيان إلى ثنية الوداع يتلقونه، ودخل المدينة، فصلى في مسجده ركعتين ثم جلس للناس. وجاء المخلفون لرسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يقدمون له الإعتذار. وهم أربعة أصناف:

فأما الصنف الأول: من له أعذار شرعية وعذرهم الله -سبحانه وتعالى-. فقال تعالى فيهم، {لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ

وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (*) وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ}[400].

والمقصود بالضعفاء: المشايخ الكبار، وقيل: الصغار، وقيل: المجانين. وسموا ضِعافاً، لضُعفِ عقولهم.

وأما الصنف الثاني: من ليس له أعذار شرعية وتاب الله عليهم. وقد أنزل الله تعالى فيهم ثلاث آيات. قال تعالى {وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[401].

والمقصود بهذهِ الآية، هم الجماعة الذين تخلفوا عن الغزو لغيرِ عذر مسوغ للتخلف. ثم ندموا على ذلك، ولم يعتذروا بالأعذار الكاذبة كما اعتذر المنافقون، بل تابوا واعترفوا بالذنب ورجوا أن يتوب الله عليهم.

والمراد بالعمل الصالح: ما تقدم من إسلامهم وقيامهم بشرائع الإسلام وخروجهم إلى الجهاد في سائر المواطن. والمراد بالعمل السيئ: هو تخلفهم عن هذه الغزوة، وقد أَتْبَعُوا هذا العمل السيئ عملاً صالحاً، وهو الإعتراف به والتوبة عنه.

وقال تعالى {وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[402].

والمقصود بهم؛ (كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية). وكانوا قد تخلفوا عن رسول الله ﷺ لأمر ما.

وفيما بعد، أنزل الله تعالى فيهم {وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }[403]، وسنتحدث عنهم لاحقاً – إن شاء الله تعالى -.

وأما الصنف الثالث: فهم المخلفون من منافقي الأعراب الذي يسكنون حول المدينة. وهؤلاءِ نزل فيهم قول الله تعالى {وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ[404].

وهؤلاء هم الأعراب الذين إعتذروا بالأعذار الباطلة، وقعدوا عن الغزوة بغير عذر، وهم منافقون كذبوا الله ورسوله ولم يؤمنوا بهم. فتوعدهم الله عزَّ وجل بالعذاب الأليم.

وأما الصنف الرابع: فهم المخلفون من منافقي المدينة. وفيهم أنزل الله تعالى قولهُ {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (*) فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ (*) فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ}[405].

وهم المنافقون الذين خالفوا أمر رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، وقَعدوا عن الغزوة، وفَرِحوا بعد خروج الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ إلى تبوك. وكَرِهوا أن يُقَدِموا أموالهم إبتغاء مرضاتِ الله، وأن يجاهدوا في سبيل الله مع نبيهِ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾. وهؤلاء المنافقون لو فَرِحوا وضحكوا طوال حياتهم، فهو قليل بالنسبة إلى بكائهم في الآخرة. لأن الدنيا فانية، والآخرةُ باقية.

ثامناً: وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ:

والثلاثة هم:

1- كعب بن مالك الخزرجي[406] رضي الله عنه.

2- مرارة بن الربيع العمري[407] رضي الله عنه.

3- هلال بن أمية الواقفي[408] رضي الله عنه.

وقد وردت قصة الثلاثة الذين خُلِّفُواْ على لسان كعب بن مالك رضي الله عنه في كتب السيرة والحديث، والتفسير، برواياتٍ مُتقاربة في ألفاظها، ولقيت عناية فائقة في الشرح والتدريس، وكان صحيح البخاري من أكثر الكتب دِقةً وتفصيلاً لهذه القصة[409].

ونترك كعب بن مالك رضي الله عنه يحدثنا عن هذه القصة بنفسه، حيث قال: " لم أتخلف عن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلفتُ في غزوة بدر، ولم يعاتب أحدًا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يريد عِير قريش حتى جمع الله بينهم

وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدتُ مع رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ليلة العقبة[410] حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها، كان من خبري أنّي لم أكن -قط- أقوى ولا أيسر حين تخلفتُ عنهُ في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي قبلهُ راحلتان -قط- حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يريد غزوة إلا ورَّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول اله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ في حرٍ شديد، واستقبل سفرًا بعيدًا ومفازًا، وعدوًّا كثيرًا، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ، يريدون الديوان، قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له، ما لم ينزل فيه وحي الله.

وغزا رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ تلك الغزوة حيث طابت الثمار والظلال، وتجهز رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ والمسلمون معه، فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقضِ شيئًا، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد، فأصبح رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئًا، فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئا، ثم غدوت، ثم رجعت ولم أقض شيئا، فلم يزل بي حتى أسرعوا

وتفارط الغزو [411] وهممتُ أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ فطفتُ فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصًا عليه النفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: " ما فعل كعب؟"، فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه، ونظره في عطفيه[412]، فقال لهُ معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرًا. فسكت رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيضاً[413] يزول به السراب[414]، فقال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾: "كن أبا خيثمة" فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزهُ[415] المنافقون. قال كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قد توجه قافلاً[416] من تبوك حضرني بثي[417]، فَطفِقتُ أتذكر الكذب وأقول: بم أخرج من سخطه غداً؟ وأستعينُ على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل لي: إن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قد أظل قادماً[418] زاح[419] عني الباطل، حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبدًا، فأَجْمَعْتُ صِدقَهُ[420]، وأصبح رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قادماً، وكان إذا قدم من سفرٍ بدأ بالمسجد، فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءهُ المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقَبِلَ منهم رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ علانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، حتى جئت، فلما سلمت، تبسم تبسم المغضب، ثم قال: " تعال "، فجِئتُ أمشي حتى جَلستُ بين يديه، فقال لي: " ما خلفك؟ ألم تكن قد

ابتعت ظهرك؟ "، قال: قُلتُ: بلى، إني والله لو جلستُ عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيتُ أن سأخرج من سخطهِ بعذر، ولقد أُعطِيتُ جَدلاً[421]، ولكني -والله- لقد علمتُ لَئِن حدثتُكَ اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليُوشِكَنَّ[422] الله أن يُسخطك عِليّ، ولَئِن حدثتك حديث صدق تجد عَليَّ فيه[423] إنّي لأرجو فيه عقبى الله[424]، لا -والله- ما كان لي عذر، والله ما كنت -قط- أقوى، ولا أيسر مني حين تخلفتُ عنك، قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾: "أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك"، فقمتُ وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بما اعتذر به إليه المخلفون، فقد كان كافيك ذنبك، استغفار رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ لك، قال: فوالله مازالوا يؤنبونني[425] حتى أردتُ أن أرجع إلى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ فأكذِّب نفسي.

قال: ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي من أحد؟ قالوا: نعم، لقيه معك رجلان، قالا مثل ما قُلت، فقيلَ لهما مثل ما قيلَ لك، قال: قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شَهِدا بدرًا، فيهما أسوة. فمضيتُ حين ذكروهما لي.

قال: فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا[426] وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلدهُم[427] فكنت أخرج، فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد.

وآتي رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ فأسلم عليه، وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه، وأسارقهُ النظر، فإذا أقبلتُ على صلاتي نظرَ إليَّ، وإذا التفتُ نحوه أعرض عني، حتى طال ذلك عليَّ من جفوة المسلمين، مشيتُ حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، -وهو ابن عمي، وأحب الناس إليّ- فسلمتُ عليه، فوالله ! ما ردَّ عليَّ السلام، فقلتُ له: يا أبا قتادة، أنشدك بالله[428] هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ قال: فسكت، فعدتُ فناشدتهُ فسكت، فعدتُ فناشدتهُ فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عَينايَّ، وتوليتُ حتى تسورت الجدار، فبينما أنا أمشي في سوق المدينة، إذا نبطي من نبط أهل الشام[429] ممن قَدِمَ بالطعام يبيعهُ بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ قال: فطَفِقَ الناس يشيرون لهُ إليّ. حتى جاءني فدفع إليَّ كتابًا من ملك غسان، وكنتُ كاتباً، فقرأتهُ فإذا فيه: أما بعد فإنهُ قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة[430] فالحقْ بنا نُواسِك. قال: فقلتُ حين قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء فتيممتُ[431]

بها التنور، فسجرتها[432] بها. حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين واستلبث الوحي[433] إذا رسول رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يأتيني فقال: إن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلتُ: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها فلا تقربنها، قال: فأرسل إلى صاحبيَّ بمثل هذا.

قال: فقلتُ لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر، قال: فجاءت امرأةُ هلال بن أمية رسول الله، فقالت له: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: "لا ولكن لا يقربنك "، فقالت: إنهُ والله ! ما بهِ حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا.

فقال لي بعض أهلي: لو استأذنتَ رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ في امرأتك؟ فقد أَذِنَ لامرأة هلال ابن أمية أن تخدمهُ، قال: فقلتُ: لا أستأذن فيها رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، وما يدريني ماذا يقول رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ إذا استأذنتهُ فيها، وأنا رجلٌ شاب، قال فلَبِثْتُ بذلكَ عشرَ ليالٍ، فكمل لنا خمسون ليلة على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالسٌ على الحال التي ذكر الله عزَّ وَجل منا، قد ضاقت عَليَّ نفسي وضاقت عليَّ الأرضُ بما رَحُبَت، سمعتُ صوتَ صارخٍ أوفى على سلع[434] يقولُ بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر. قال: فخررتُ ساجدًا، وعرفتُ أن قد جاء فرج، قال: فآذنَ[435] رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ توبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهبَ الناس يُبشروننا، فذهبَ قِبَلَ صاحبيَّ مبشرون وركضَ رجلٌ إليَّ فرسًا، وسعى ساعٍ من أسلم قبلي، وأوفى الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعتُ صوته يبشرني نزعت له ثوبيَّ فكسوتهُ إيَّاهُما ببشارتهِ، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرتُ ثوبين فلبستهما، فانطلقتُ أتأمم[436] إلى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يتلقاني الناس فوجاً فوجاً[437]، يُهنئونّي بالتوبة ويقولون: لِتَهنِئكَ توبةُ الله عليك حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ جالسٌ في المسجد، وحولهُ الناس. فقام طلحة بن عُبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره، قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة، قال كعب: فلما سلمتُ على رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، قال وهو يبرقُ وجهه من السرور: "أبشر بخيرِ يومٍ مرَّ عليك منذُ ولدتكَ أمُكَ". قال: قلتُ: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ فقال: "لا، بل من عند الله". وكان رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ إذا سُرَّ استنارَ وجههُ كأنه قطعة قمر. قال: وكنا نعرف ذلك قال: فلما جلستُ بينَ يديهِ قلتُ: يا رسول الله، إنَّ من توبتي أن أَنْخَلِعَ[438] من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، فقال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾: "أمسك عليك بعض مالك فهو خيرٌ لك ". قال: فقلتُ: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر قال: وقلتُ: يا رسول الله، إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي أَنْ لاَ

أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا، مَا بَقِيتُ، فوالله ما علِمتُ أنَّ أحدًا من المسلمين أبلاهُ[439] الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ إلى يومي هذا، أحسنُ مما أبلاني الله به، واللهِ ما تعمدت كذبة منذ قلتُ لرسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي، قال: فأنزل الله عز وجل {لَقَد تَّابَ اللَّه عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ (*) وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (*) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ[440].

قال كعب: والله ما أنعمَ اللهُ عَليَّ من نعمة -قط- بعد إذ هداني للإسلام أعظم في نفسي مِن صدقي رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ألا أكون كذبتهُ فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا الله حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد، قال الله {سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ (*) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} [441].

قال كعب: كنا خلفنا -أيها الثلاثة- عن أمر أولئك الذين قَبِلَ منهُم رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله عز وجل {وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [442]. وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خُلِّفْنَا عَنِ الغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا[443]، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ[444].

الخــاتــمـــــَـة

بغزوةِ تبوك تمت كلمةُ ربك في شبه الجزيرة العربية كلها. وأمَّنَ الرسول (ﷺ) كل عاديةٍ عليها، وبدأ كل من أقام على شِركة من أهل شبه الجزيرة يُفكر في أمره، وأدرك الجميع أن الغلبة للإسلام. فأخذوا يتسابقون للدخول فيهِ، وجاءت الوفود من كل ناحية معلنةً إسلامها، فكان ذلكَ نصراً من الله العزيز.

وبغزوة تبوك نجحَ المسلمون في تحقيق أعظم إنتصار معنوي في فترةِ العهد النبوي. حيثُ أَرعبوا أعظم إمبراطورية في العالم في ذلك الوقت، فهَربت من الحدود، وجَبُنَت، وأَحْجَمَت عن التصدي للمسلمين؛ الذينَ وصلوا تبوك، وتحدوا هذهِ الإمبراطورية، وأقاموا على الحدودِ عشرينَ يوماً. عَقدوا فيها المعاهدات مع أمراء الحدود الشمالية، وأصبحت شبه الجزيرة العربية كلها تدين بالإسلام.

وقد توصلتُ في دراستي؛ إلى الفوائد التالية:

1- لَقد كان لإنسحاب الروم أبلغ الأثر في نفوس قبائل العرب المحتفظة بكيانها ودينها، وتَركَ في أُنفس قبائل الجنوب باليمن، وحضر موت، وعُمان أثراً أشد عمقاً. أليسَ الروم هؤلاء هم الذين غلبوا الفرس؟ واستردوا منهم الصليب المقدس، وجاءوا بهِ إلى بيت المقدس في حفلٍ عظيم. وفارس كانت صاحبة السلطان على اليمن، والبلاد المجاورة لها؛ أزماناً طويلة. فإذا كان المسلمون على مقربة من اليمن ومن غيرها من البلاد العربية جمعاء. فَما أجدر هذهِ البلاد بأن تنضم كلها في تلك الوحدة؛ التي تَستَظلُ بعَلَمِ محمدٍ (ﷺ)؛ - علم الإسلام –.

وماذا يضر أمراء القبائل والبلاد أن يَفعلوا؟ وهم يرون محمد ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يُثبِت من جاءهُ مُعلِناً الإسلام والطاعة في إمارته وعلى قبيلتهِ. فلتكن السنة العاشرة للهجرة سنة الوفود، وليدخل الناس في دينِ اللهِ أفواجاً، وليكن لغزوةِ تبوك ولإنسحاب الروم أمام المسلمين من الأَثرِ أكثر مما كان لفتح مكة، والإنتصار في حُنين، وحصار الطائف.

2- لَقد برعَ الروم في إستخدام الحرب المعنوية، ونَجحوا في ذلكَ إلى حدٍ بعيد، وقد إستخدموا الأنباط؛ لتوصيل نبأ إستعداداتهم للمسلمين، فَيُهزَموا قبل أن يَدخلوا في المعركة. وأصبح حديث إستعدادات الروم يُسبب قلقاً للمسلمين لِمَّا عُرِفَ عن قوة الروم. وبرغم ذلك تَجهز المسلمون بقيادة الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، وتوجهوا لِلقاءِ الروم؛ ذلكَ العدو الأسطوري.

فلم يوجد لهم أثر على الحدود، وتلاشى كل ما قيل عنهم. لقد إنسحبَ جُند الروم داخل حدود الشام أمام المسلمين. ولم يكن ذلك أمراً سهلاً، فقد كان ضربةً شديدةً لهيبةِ الروم أمام القبائل الشمالية الخاضعة لسلطانهم، والذين كانوا يمثلون الذراع الطويلة لهم داخل شبه الجزيرة العربية. فقد كانت الأعمال العِدائية لهذه القبائل تجاه المسلمين كلها نابعة من إعتمادهم على حليفهم القوي؛ –الروم–، وفي لحظةٍ إنهارَ كل ما عرفوهُ وما بنوهُ في أذهانهم عن قوة الروم وسلطانهم. فها هُم الروم يفرون أمام المسلمين؛ لا يلوون على شيءٍ. ويتركوا هذه الإمارات الصغيرة في مواجهة جيش المسلمين. ولا بُدَّ أن المسلمين سينتقمون من هذه الإمارات؛ جُزءًا ما فعلوهُ تجاه المسلمين. إلاَّ أنَّ سماحة الإسلام أذهلتهم! فعَفا عنهم رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، وكتبَ لكل منها كتاباً فيهِ أمانها، دون أن يجبرهم على إعتناق الإسلام. مما يعد دليلاً قاطعاً على سماحة الإسلام.

3- لَقد حقَّقَ المصطفى ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ باتفاقاتهِ التي عقدها مع أمراء الحدود الشمالية؛ نجاحاً كبيراً في تأمين حدود شبه الجزيرة العربية، وإقامة هذهِ البلاد معاقل بينهُ وبين الروم. بل أن خضوع أهل أَيْلَة على خليج العقبة قد مَهَّد السبيل لفتح مصر. حيث وصل المسلمون إلى حدودها الشرقية، وقد كان المسلمون على عِلمٍ بأهمية مصر بالنسبة للروم، فَفَتْحها يُعَد إستكمالاً لضربِ هَيبة الروم، ولم يهدأ المسلمون حتى فتحها عمرو بن العاص رضي الله عنه، في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

4- لُقِنَت العرب دروساً في الجهاد، وعدم التخاذل، مهما كانت الظروف، وقد تحرروا بعد تبوك من عقدة الخوف من لقاء الروم، ومواجهة دولة كبرى، واجتازوا الرهبة التي يلمسها المرء في كلمةٍ؛ كتلكَ التي قالها عمر بن الخطاب رضي الله عنه – مع شجاعتهِ وبأسهِ –؛ في قوة الروم، قال: " إنها الروم، وبنو الأصفر، عزمٌ حديد وبأسٌ شديد ". أو حين كانوا يخشون قدوم الروم قبل تبوك. حتى لَقد هَبَّ عمر رضي الله عنه مذعوراً، حينما طَرقَ بابهُ ليلاً أحد الصحابة قائلاً: " ما هو أجاءت غسان؟ "، أي غسان وحلفاؤها الرومان.

وكان للرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ الفضل في كسر الحاجز النفسي الذي صنعتهُ غزوة مؤتة سابقاً؛ بخروجهِ بنفسهِ لِلقاءِ الروم على رأس جيشهِ، ومفاجئتهِ الروم وحلفائهم على غير ما كانوا يتوقعون. وقد انطلق الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بعد تبوك في تعميق هذا الخط الذي حذا خلفاؤهُ بعدهُ حذوه. –خط– مواجهة الدولة الرومانية الشرقية في عقر دارها، وعدم الإنتظار حتى تقوم بإغاراتها على الدولة العربية الإسلامية الفتية.

فقد عزم الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ فور توحيد شبه الجزيرة، وأداء الحج في العام العاشر للهجرة؛ على إعداد جيشٍ آخر؛ أَسنَد قيادتهُ إلى شابٍ صغيرٍ في العُمر؛ وهو أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنه، إبنُ زيدٍ بن حارثة رضي الله عنه؛ مولى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، وذلك لغزو أطراف الشام الجنوبية، لتحصين حدود الجزيرة ضد إعتداءات الروم.

5- يرجع إنسحاب الروم أمام المسلمين إلى أمرين:

الأول: الرعب من لقاء المسلمين، وهو سلاح إختص الله بهِ نبيه ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، ذلك أَنَّ هِرَقْلَ كان على عِلمٍ بصدق نبوة المصطفى ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، منذ أن جاءتهُ رسالة النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، ويظهر ذلك من خلال حديثه مع أبي سفيان، وقوله: " لَئِن كانَ مُحَمد صادقاً ليملِكَنَّ ما تحتَ قدمي هاتين "، ولِذلِكَ لم يستطع مواجهة جيش المسلمين في تبوك، وآثرَ السلامة بالإنسحاب إلى الداخل.

والثاني: حدوث إضطرابات داخل الإمبراطورية البيزنطية، بسبب إحتدام الخلاف المذهبي. الأمر الذي هَدَّد بحدوث إنقسام داخل الإمبراطورية. ولذا سَحبَ هِرَقْلَ قواتهُ من الحدود إلى الداخل، مخافةَ أن يؤدي هذا الخلاف إلى صراعٍ عسكريٍ. ومن الممكن أن يكون هَرِقْلَ قد إتخذ هذا الخِلاف

حُجةً لإقناع قادته بإنسحاب جند الروم أمام المسلمين، لأنهُ في حقيقةِ نِفسهِ يعلم أن الإسلام سينتصرُ حَتماً لا مَحالة.

6- أَسْهمَ الغساسنة في الصراع بين الإمبراطورية البيزنطية وبين المسلمين. ونظراً لأهميتهم في المنطقة، فقد أرسل النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾؛ الحارث بن عُمير الأزدي إلى صاحب بصرى يدعوهُ للإسلام، ولكن كان جزاءهُ القتل على يد شرحبيل بن عمرو الغساني.

7- تُعتَبَر الحروب الصليبية إمتداداً لِمَّا حَدثَ في تبوك، فَلَمْ تَنْسَّ أوروبا مُطلقاً، وطِوال تاريخها، وحتى الآن؛ هذا الذي حدثَ في عهدِ النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، وعهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، واعتبرت هزيمة الروم أمام المسلمين هزيمةً لها كلها.

ولم تكن الحروب الصليبية –بعدما يقرب من خمسة قرون من هذا التاريخ–، والتي عبأت فيهِ أوروبا كل قِواها لغزو الشرق الإسلامي؛ إلاَّ رد فعل، للإنتقام من المسلمين وهزيمتهم.

8- دَلَّتْ الغزوة على إستحالة قيام هدنة، أو سلام مع اليهود في أي زمانٍ وأي مكان، وأنهم كلما لاحت لهم فرصة للنيل من الإسلام والمسلمين؛ لم يترددوا في إقتناصها. ويتضح ذلك من خلال الدور الذي لعبهُ اليهود في تثبيط الناس أثناء تجهيز الجيش، كضربٍ من ضروب الإنتقام من المسلمين، فاتخذوا من بيت سويلم اليهودي قاعدةً تُدبَرُ فيها المؤامرات، للنيل من الإسلام والمسلمين في تلك الفترة الحرجة، إلاَّ أنَّ النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أفسد عليهم الأمر، بإحراق بيت سويلم، فشتت شملهم.

9- نتيجةً لأهمية غزوة تبوك، نزلت (سورة التوبة)، وهي أطول ما نَزلَ من القرآن الكريم في غزوةٍ من الغزوات. وقد حَدَّدَت بشكلٍ قاطعٍ؛ الأُسُس التي يجب أن تُبنى عليها العلاقات بين الأمة الإسلامية، وسائر الأُمم في الأرض. سواءً من المشركين، أو من أهل الكُتُب السماوية في أيّ زمانٍ وأيِّ مكان. كما أَلقَت الضوء على المجتمع المسلم في تلك الفترة، وفَضحَت المنافقين، وحَددَت موقف الإسلام النهائي من هذه الفئة الضالة.

10- ومِنَ الدروس والحِكَم والفوائد المأخوذة من أفعال النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ في طريق الذهاب إلى تبوك والعودة إلى المدينة هي:

أ. في قصة الصحابي ذي البجادين، نرى حرص النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ على أصحابِهِ حتى في حالة الوفاة، فَما فَعلهُ النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ مع الصحابي ذي البجادين؛ حينَ أكرمهُ بدفنهِ وترضى عنه، فقال: " اللهم إنّيّ أمسيتُ عنهُ راضياً فارضَ عنهُ "، لَهو أكبرُ دليل على حُبه وحرصِهِ لصحابتِهِ. وهذهِ صورة من البر والتكريم والوفاء للأصحاب؛ فريدة ونادرة في يومنا هذا. ولن تجدها في تاريخ الحكام والقادة في عصرنا هذا أبداً.

ب. وأيضاً في قصة ذي البجادين، مسألةٌ فقهية لا بُدَّ من ذكرها، وهي جواز الدفن في الليل. فقد دفنَ رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ذي البجادين ليلاً، ومِنَ السُنةِ أيضاً؛ أن يُعَجَل في دفن الميت. (انظر القصة: ص 67).

ج. في قصة أبي خيثمة الذي ترك زوجتيهِ، فعزمَ وتوكل على الله، والتحق بالنبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾؛ لَهو مثالٌ على المسلم صاحب الضمير الحي. وكذلك عندما قال بعض الصحابة؛ هذا راكبٌ على الطريق مُقبِل، فقال النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾: " كن أبا خيثمة ". وذلكَ لمعرفة الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بأصحابهِ وبمعادنهم الأصيلة.

د. وفي قصة مسجد الضِرار، نرى أن الكفر ملة واحدة ضد الإسلام، كما هو الحال اليوم. وكيف حاول المنافقين التدليس على المسلمين، لكن العلاج النبوي الحاسم جاءهم بسرعة. وحَفِظَ اللهُ نبيهُ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ والمسلمين من كيد المنافقين، وهو خيرُ الحافظين.

هــ. وفي قصة الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ؛ لنا فيها دروساً عظيمة؛ ذات قيمة ثمينة، ومنها: الصدق سفينة النجاة، وهذا فعل كعب بن مالك رضي الله عنه. ثم هجر النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ لهم، ليس لبغضهم – حاشا-، وإنما كان هجراً تربوياً، فكانَ لهُ ما بعدهُ. ونرى كيف أن الصحابة رضي الله عنهم أطاعوا رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ طاعةً لا مثيلَ لها؛ وذلِكَ في مقاطعة الثلاثة وعدم الحديث معهم. وأيضاً طاعة الثلاثة لرسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ حينما أمرهم بإعتزالِ نسائهم وعدم الإقتراب لَهُنَّ. وهذا بحق؛ لَهوَ تنفيذ أوامر القيادة في المجتمع المسلم لقائدها العظيم ورسولها الكريم ﴿صلى الله عليه وسلم﴾. والولاء التام لله ورسوله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾. وأيضاً نرى كم عانى كعب بن مالك وخاصةً عندما أغراهُ ملك غسان. لكنهُ يعلم أنَّ ما عند الله خيرٌ وأبقى. فتاب الله عليه وعلى صاحبيه رضي الله عنهم.

و. وأيضاً في قصة الثلاثة هناك بعض المسائل الفقهية، وهي جواز سجدة الشكر لله تعالى؛ حَمداً لهُ عند النعمة على العبد المسلم. ويجوز أيضاً مكافأة الذي يحمل البشرى بإهدائهِ هدية، كفعل كعب بن مالك؛ عندما سَجدَ شُكراً لله تعالى، وأهدى ثوبهُ لصاحب البشرى يوم نزول الفرج عليهم. وأيضاً مسألة التَصدُق بالمال. وذلِكَ حينما أرادَ كعب أن يتصدق بجميع مالهِ. والصدقة مستحبة، والنذر واجب الوفاء، ولكن لم يذهب كعب إلى النذر، وإنما إستشار في الصدقة بكل المال، فأشار رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ عليهِ بإمساك بعض ماله.

11- وأخيراً؛ بمقارنةِ أقوال كُلاً مِنَ المُفسرين، والمُحدثين، وكُتَّابُ المغازي والسير؛ عند تناولهم لغزوة تبوك. تَبينَ الآتي:

أولاً: عندَ ذكر المفسرين لغزوة تبوك، لم يذكروا كل أحداث الغزوة بالشكل الكامل، وإنما اقتصرَ على تفسيرِ آياتِ سورة التوبة، وقد كانَ تفسيرهم تفسيراً تاريخياً. ومع ذلكَ فقد أفادوا في تغطية بعض جوانب الغزوة، وخاصةً أسباب الغزوة، وأحوال المنافقين، ودورهم فيها.

ثانياً: إن روايات علماء الحديث لتبوك كانت موجزاً. إلاَّ أنهم قد أفادوا في بعض جوانب الغزوة، وساعدوا في تفسير بعض الآيات، كقصة تخلف كعب بن مالك، وكذلك رسالة هِرَقْلَ مع التنوخي إلى الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بتبوك.

ثالثاً: إن كُتَّاب المغازي والسير؛ كانوا أكثر تفصيلاً، وتوضيحاً لأحداث الغزوة، وذلك لطبيعتهم في تدوين الأحداث التاريخية. فكانوا أعم وأشمل من المفسرين والمحدثين. إلاَّ أنهم قد إعتمدوا في ذكرهِم لبعضِ الأحداث على ما ذكرهُ المفسرون عند تفسيرهم لسورة التوبة، وما ذكرهُ المحدثون. وقد فَصَّلوا القول فيها كافتِضاح أمر المنافقين؛ أمثال الجد بن قيس، وابن أُبَيّ، وزيد ابن اللصيت، وإستهزاءهم بالنبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وأصحابه، ومحاولة المنافقين قتل النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أثناء العودة، ومسجد الضرار، وغيرها.

ومع ذلكَ، فإنَّ أقوال كُلاً من المُفسرينَ، والمحدثينَ، وكُتَّاب المَغازِي والسِيَّر؛ مُكَمِلَّةً بعضها لبعض، وقد ساعدت جميعها على إكتمال جوانب الغزوة. ولِذلِكَ فإنَّ دراسة غزوات النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ من هذه الوجوه أمراً مُفيداً للباحثين في مجال السيرة النبوية، حيثُ يحصل الباحث على الحقيقة التاريخية السليمة، ولذا أرجوا مِنَ الله تعالى أن يُوَّفِقَ الباحثين في مجال السيرة النبوية الشريفة؛ وأن

يَكتُبوا كما كَتبتُ؛ غزوات النبي (صلى الله عليه وسلم)، مِن خلالِ أقوالِ كُلاً مِنَ المُفسرينَ، والمُحدثينَ، وكُتَّابُ المَغازِي والسِيَّر.

هذا وأسألُ الله تعالى أن يَنفعَ المسلمين بما كَتَبت، وأسألهُ تعالى أن يجعلنا مِنَ الذين يَعمَلونَ بكتابهِ الكريم ويُعَلِمونَهُ. ويَنتـَفِعُونَ منهُ، ويَنفَعونَ به. - إنْ شاءَ اللهُ تَعالى -، وأَخْتِمُ هذا البحث، بقولِ الله عزَّ وجل {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} [445].

المـــــصادر والمـــراجـــع

{مرتبة حسب الحروف الهجائية}

بعد **القرآن الكريم**.

1- أحكام القرآن. أبو بكر محمد بن عبد الله، إبن العربي، (ت، 543هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ط1.

2- أسباب النزول. جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي، (ت، 911هـ)، مطبعة إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، (1986م).

3- الإستيعاب في معرفة الأصحاب. أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (بن عبد البر) بن عاصم النمري القرطبي، (ت، 463هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، نشر: دار الجيل، بيروت، ط1، سنة الطبع: (1412هـ-1992م).

4- أُسدُ الغابة في معرفة الصحابة. أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين (إبن الأثير)، (ت، 630هـ)، نشر: دار الفكر، بيروت، (1409هـ-1989م).

5- الإصابة في تمييز الصحابة. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (بن حجر)، العسقلاني، (ت، 852هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1415هـ).

6- **أنساب الأشراف.** أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، (البَلَاذُري)، (ت، 279هـ)، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، نشر: دار الفكر، بيروت، ط1، سنة الطبع: (1417هـ-1996م).

7- **الأنوار المحمدية.** من المواهب اللدنية، القاضي الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني، (ت، 1350هـ).

8- **البداية والنهاية.** عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (بن كثير) القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت، 774هـ)، تحقيق: محمد عبد العزيز النجار، دار العربي، القاهرة، ط1.

9- **تاريخ الرسل والملوك.** محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، (الطبري)، (ت، 310هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط4.

10- **تفسير أبو السعود.** المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم). محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، (ت، 982هـ)، تحقيق: د. عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ط1.

11- **تفسير البحر المحيط.** أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أثير الدين الأندلسي، (ت، 745هـ)، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ط1.

12- **تفسير البيضاوي.** المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل). ناصر الدين، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (البيضاوي)، (ت، 685هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط1.

13- **تفسير الخازن.** المسمى (لُباب التأويل في معاني التنزيل). علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف (بالخازن)، (ت، 741هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط1، (1357هـ).

14- **التفسير الفريد للقرآن المجيد.** د. محمد عبد المنعم الجمال.

15- **تفسير القرآن العظيم.** عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (بن كثير) القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت،774هـ)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1.

16- **التفسير الكبير.** المعروف بـــ (مفاتيح الغيب). أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي، خطيب الري، (ت، 606هـ)، دار الفكر، بيروت، ط1، (1978م).

17- **تفسير المراغي.** أحمد بن مصطفى المراغي، (ت، 1371هـ)، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط2، (1953م).

18- **تفسير المنار.** محمد رشيد رضا، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ط1، (1972م).

19- **تقريب التهذيب.** أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (بن حجر)، العسقلاني، (ت، 852هـ)، تحقيق: د. عبد الوهاب عبد اللطيف، دار المعرفة، بيروت، ط1، (1380هـــ).

20- **تهذيب التهذيب.** أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (بن حجر)، العسقلاني، (ت، 852هـ)، حيدر آباد، دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، (1326هـ).

21- **تيسير الكريم الرحمن.** في تفسير كلام المنان. عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، (ت، 1376هـ)، تحقيق: محمد زهري النجار، طبع ونشر: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، (1404هـ).

22- **جامع البيان عن تأويل آيِّ القرآن.** محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، (الطبري)، (ت، 310هـ)، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط3، (1968م).

23- **الجامع لأحكام القرآن.** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، شمس الدين (القرطبي)، (ت، 671هـ)، دار الغد العربي، القاهرة، ط1، (1989م).

24- **جوامع السيرة النبوية.** أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (بن حزم)، الأندلسي القرطبي الظاهري، (ت، 456هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، ود. ناصر الدين الأسد، دار المعارف، القاهرة، ط1.

25- **حياة محمد ﴿صلى الله عليه وسلم﴾.** محمد حسين هيكل، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ط3، (1358هـــ).

26- خاتم النبـيـيـن. محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، (1973م).

27- دلائل النبوة. أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (البيهقي)، (ت، 458هـ)، تعليق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط1، (1966م).

28- الدولة البـيـزنطية. (323 – 1081م). د. السيد الباز العريني، دار النهضة المصرية، القاهرة، ط1، (1960م).

29- روح الإسلام. السيد أمير علي، ترجمة: أمين محمود الشريف، مكتبة الآداب النموذجية، القاهرة، ط1، (1961م).

30- الروضُ الأُنـف. في شرح السيرة النبوية لإبن هشام. أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (السهيلي)، (ت، 581هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط1.

31- الروم وصِلاتهم بالعرب. د. أسد رستم، دار المكشوف، بيروت، ط1، (1955م).

32- زاد المِـعاد. في هَديِّ خير العِباد. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين، (ابن قيم الجوزية)، (ت، 751هـ)، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.

33- سبل الهدى والرشاد. في سيرة خير العباد. محمد بن يوسف (الصالحي) الشامي، (ت، 942هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، نشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، (1414هـ-1993م).

34- السيرة الحلبية. المعروفة بــ (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون). علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين، (ت، 1044هـ)، مكتبة صبيح، القاهرة، ط1.

35- سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومعالمها. من القرآن الكريم والسُنة المطهرة. محمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، (1972م).

36- السيرة النبوية. عرض وقائع وتحليل أحداث. د. علي محمد الصلابي، راجعهُ لغوياً: عادل شوشة، مكتبة فياض للتجارة والتوزيع، (1428هـ-2007م).

37- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة. د. محمد أبو شهبة، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ط2، (1970م).

38- السيرة النبوية لإبن إسحاق. أبو عبد الله، محمد (إبن إسحاق) بن يسار المطلبي، (ت، 151هـ)، هذبها: أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، دار الإتحاد العربي، ط1، سنة الطبع: (1391هــ-1971م).

39- السيرة النبوية لإبن هشام. عبد الملك (بن هشام) بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، (ت، 213هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، سنة الطبع: (1375هـ-1955م).

40- السيرة النبوية والآثار المحمدية. أحمد بن زيني دحلان، الدار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، سنة الطبع: (1983م).

41- شرح المواهب اللدنية. بالمنح المحمدية. أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد (الزرقاني) المالكي، (ت، 1122هـ)، المطبعة الأزهرية المصرية، القاهرة، ط1، (1326هــ).

42- صحيح البخاري. محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله (البخاري)، (ت، 256هــ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر: دار طوق النجاة، ط1، (1422هـ).

43- صحيح مسلم. بشرح النووي. (مسلم) بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري، (ت، 261هـ)، مطبعة الشعب، القاهرة، ط1.

44- الصراع بين العرب وأوروبا. من ظهور الإسلام إلى إنتهاء الحروب الصليبية. د. عبد العظيم محمد رمضان، دار المعارف، القاهرة، ط1.

45- الصراع مع الصليبيين. د. محمد عبد القادر، أبو فارس، دار البشير، طنطا، سنة الطبع: (1419هـ-1999م).

46- الطبقات الكبرى. أبو عبد الله، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي، الزهري، المعروف بـ (إبن سعد)، (ت، 230هـ)، نشر: دار صادر، بيروت، ط1، (1957م).

47- العبقرية العسكرية. في غزوات الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾. محمد فرج، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، (1977م).

48- العلاقات الدولية في الإسلام. محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1.

49- غزوة تبوك. محمد أحمد باشميل، دار الفكر، بيروت، ط2، (1978م).

50- فتح الباري. بشرح صحيح البخاري. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (بن حجر) العسقلاني (ت، 852هـ)، نشر: دار المعرفة، بيروت، (1379هـ).

51- فتح الباري. شرح صحيح البخاري. زين الدين عبد الرحمن بن أحمد (بن رجب) بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، (ت، 795هـ)، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، نشر: مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط1، سنة الطبع: (1417هـ-1996م).

52- فتح البيان. في مقاصد القرآن. أبو الطيب، محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني، البخاري، القِنَّوجي، (ت، 1307هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1.

53- فتوح البلدان. أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، (البَلَاذُري)، (ت، 279هـ)، تعليق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1978م).

54- فقه السيرة. محمد الغزالي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط2، (1955م).

55- في ظِلالِ القرآن. (سيد قطب)، إبراهيم حسين الشاربي، (ت، 1385هـ)، دار الشروق، بيروت، ط12.

56- القاموس المحيط. مجد الدين، أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، (ت، 817هـ)، مطبعة الحلبي، القاهرة، ط2، (1952م).

57- قصص الأنبياء. عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (بن كثير) القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت، 774هـ)، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط1، (1989م).

58- الكامل في التاريخ. أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين (إبن الأثير)، (ت، 630هـ)، دار الفكر، بيروت، ط1، (1978م).

59- الكشاف. عن حقائق غوامض التنزيل. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (الزمخشري) جار الله، (ت، 538هـ)، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، (1972م).

60- كنز العمال. في سنن الأقوال والأفعال. علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري، ثم المدني، فالمكي، الشهير بـ (المتقي) الهندي، (ت، 975هـ)، صححهُ ووضع فهارسهُ: الشيخ صفوت السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، (1985م).

61- اللؤلؤ والمرجان. فيما اتفق عليهِ الشيخان. محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان، القاهرة، ط1، (1981).

62- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (الهيثمي)، (ت، 807هـ)، دار الكتاب، بيروت، ط2، (1967م).

63- مجموع فتاوى ورسائل العثيمين. فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن محمد (العثيمين)، (ت، 1421هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، نشر: دار الوطن - دار الثريا، الطبعة الأخيرة، (1413هـ).

64- محمد رسول الله (ﷺ). محمد رضا، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط3، (1949م).

65- المستدرك على الصحيحين. أبو عبد الله (الحاكم)، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، (ت، 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، سنة الطبع: (1411هـ-1990م).

66- مُسند الإمام أحمد. وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. أبو عبد الله أحمد بن محمد (بن حنبل)، بن هلال بن أسد الشيباني، (ت، 241هـ)، دار صادر، بيروت، ط1.

67- مُعجم البُلدان. شهاب الدين، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، المشهور بـ (ياقوت الحموي)، (ت، 626هـ)، نشر: دار صادر، بيروت، ط2، (1995م).

68- المُعجم الوجيز. مجمع اللغة العربية، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، (1990م).

69- المُعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، ط2، (1985م).

70- المغازي. محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، المشهور بـ (الواقدي)، (ت، 207هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، نشر: دار الأعلمي، بيروت، ط3، سنة الطبع: (1409هـ-1989م).

71- الميزانية الأولى في الإسلام. د. بدوي عبد اللطيف، محاضرة أُلقيت في جامعة بيروت، عام (1973م).

72- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ﴿صلى الله عليه وسلم﴾. علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن، (السمهودي)، (ت، 911هـ)، مطبعة الآداب والمؤيد، القاهرة، ط1، (132

المحتويات

موقع غزوة تبوك	
المقدمة	
الفصل الأول أسباب غزوة تبوك	
زمانها:	
مكانها:	
تسميتها:	
أسباب غزوة تبوك عند المُفسرين:	
أسباب غزوة تبوك عند المحدثين:	
أسباب غزوة تبوك في كُتُبِ المغازي والسير:	
الفصل الثاني المصاعب التي واجهت الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ عند تجهيز الجيش	

حال المسلمين أثناء تجهيز الجيش:	
أولاً: المفسرون:	
ثانياً: المحدثون:	
ثالثاً: كُتُب المغازي والسير:	
تجهيز الجيش معنوياً:	
تجهيز الجيش مادياً:	
البكاؤون:	
أولاً: المفسرون:	
ثانياً: المحدثون:	
ثالثاً: كُتُب المغازي والسير:	
مؤامرات المنافقين ودسائسهم أثناء تجهيز الجيش:	
أولاً: المفسرون:	
إعتذار المنافقين عن الخروج:	
نفقة المنافقين:	

المخلفون من المنافقين:	
ثانياً: كُتُب المغازي والسير:	
تخلف الجد بن قيس:	
مؤامرات اليهود:	
الإستخلاف على المدينة:	
الفصل الثالث مسير الجيش	
أولاً: المفسرون:	
ثانياً: المحدثون:	
ثالثاً: كُتُب المغازي والسير:	
التنظيم العسكري للجيش قبل المسير:	
الألوية والرايات:	
بعض الإرشادات للجيش قبل التحرك:	
تخلف عبد الله بن أُبَيّ – رأسُ المنافقين –:	

الأحداث التي وقعت أثناء المسير:	
مرور النبي ﴿ﷺ﴾ القُرى وديار ثمود:	
حديقة المرأة:	
ماء الحجر:	
وَفَاةُ ذِي الْبِجَادَيْنِ **رضي الله عنه** وَقِيَامُ الرَّسُولِ ﴿ﷺ﴾ عَلَى دَفْنِهِ:	
خبر ناقة رسول الله ﴿ﷺ﴾:	
حادثة الريح:	
صلاتهُ ﴿ﷺ﴾ خلف عبد الرحمن بن عوف2 **رضي الله عنه:**	
مؤامرات المنافقين ودسائسهم أثناء المسير:	
إستهزاء المنافقين بالرسول ﴿ﷺ﴾ وأصحابه:	
قصة أبي خيثمة **رضي الله عنه:**	
الفصل الرابع وصول النبي ﴿ﷺ﴾ إلى تبوك	

خطبة النبي ﴿ﷺ﴾ بتبوك:	
بعض الأحداث التي وقعت أثناء مقام النبي ﴿ﷺ﴾ بتبوك:	
حرس الرسول ﴿ﷺ﴾ بتبوك:	
مِنَ التربية النبوية:	
نسور الصحراء:	
تبادل الرسائل بين هِرَقْلَ والرسول ﴿ﷺ﴾:	
إنسحاب الروم:	
المعاهدات مع أمراء الحدود الشمالية:	
فتح دومة الجندل:	
كتاب دومة الجندل:	
كتاب أهل أَيْلَة:	
كتاب أهل أَذْرُحَ وجَرْبَاءَ :	
كتاب أهل مَقْنَا:	

الفصل الخامس عودة الرسول ﴿ﷺ﴾ من تبوك إلى المدينة	
أولاً: محاولة قتل النبي محمد ﴿ﷺ﴾:	
ثانياً: مخالفة المنافقين لأمر النبي ﴿ﷺ﴾:	
ثالثاً: لَنَغِيظَنّ الشّيْطَانَ كَمَا أَغَاظَنَا:	
دَرْسٌ فِقْهِيٌ مِنَ الدُروسِ المُحَمَدِيَّة:	
رابعاً: حَبسَهُم العُذر:	
خامساً: هذهِ طابة2 .. وهذا أُحُد3:	
سادساً: مسجد الضِرَار:	
هدم المسجد وحرقهُ:	
لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً:	
عدد من بَنى المسجد:	
مِنَ المُعجِزات في قصة المسجد:	
أضرارُ مَسجِد الضِرار:	
سابعاً: المُخلَفونَ عن الغزوة2:	

ثامناً: وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ:	
الـخـاتـمــــة	
الـمـــــصادر والـمــــراجـــع	

تـــمَّ بِحَـــمدِ اللَّه

Notes

[1←]

ابن إسحاق، السيرة النبوية، 3/943.

[2←]

محمد رضا، محمد رسول الله {ﷺ}، ص336.

[3←]

الزرقاني، شرح المواهب، 3/63. ومحمد رشيد رضا، تفسير المنار، 10/366.

[4←]

أبي حيان، تفسير البحر المحيط، 5/41. والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 1/274. والرازي، التفسير الكبير، وبهامشه تفسير أبي السعود، 4/436. وعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن، تفسير الخازن، وبهامشه البغوي، 3/76. وصديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، 4/129.

[5←]

ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 16/237.

[6←]

ابن هشام، السيرة النبوية، 4/515، 516. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3/100. والبيهقي، دلائل النبوة، 5/213. والنبهاني، الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية، ص 127. والسهيلي، الروضُ الأُنف، 7/304. وابن كثير، البداية والنهاية، 3/6. وأحمد زيني دحلان، السيرة النبوية والآثار المحمدية، ص 267.

[7←]

الزمخشري، الكشاف، 2/189. وأبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 2/551.

[8←]

سورة التوبة: آية 38.

[9←]

زاد المِعاد، 2/196، 197.

[10←]

الزرقاني، شرح المواهب، 3/63.

[11←]

علاء الدين بن المتقي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، 2/427.

[12←]

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 16/37.

[13←]

صحيح مسلم، 4/139.

[14←]

أحمد، المسند، 5/227. الزرقاني، شرح المواهب، 3/62.

[15←]

ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/15.

[16←]

صحيح مسلم، 4/138، 139.

[17←]

الزرقاني، شرح المواهب، 3/62.

[18←]

ابن العربي، أحكام القرآن، 2/948. وعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 3/232.

[19←]

صحيح البخاري، 6/2، باب غزوة تبوك.

[20←]

د. محمد عبد المنعم الجمال، التفسير الفريد للقرآن المجيد، المجلد الثاني، 11/1301.

[21←]

سورة التوبة: آية 117.

[22←]

ابن إسحاق، السيرة النبوية، 3/943. والسهيلي، الروضُ الأُنف، 7/305. وابن كثير، البداية والنهاية، 3/6، عدد 22.

[23←]

النبهاني، الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية، ص127.

[24←]

أحمد زيني دحلان، السيرة النبوية والآثار المحمدية، ص 267. والزرقاني، شرح المواهب، 3/62.

[25←]

سورة التوبة: آية 81.

[26←]

محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، 3/335، (باب سورة براءة).

[27←]

سورة النساء: آية 1.

[28←]

سورة الأعراف: آية 189.

[29←]

سيد قطب، في ظِلال القرآن، 1/574.

[30←]

سورة الروم: آية 22.

[31←]

سورة الحُجرات: آية 13.

[32←]

محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام، ص 20،21.

[33←]

سورة البقرة: آية 213.

[34←]

سورة يونس: آية 19.

[35←]

سورة البقرة: آية 208.

[36←]
سورة النساء: آية 90.

[37←]
سورة الأنفال: آية 61.

[38←]
ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 2/322. والخازن، تفسير الخازن، 3/39. وسيد قطب، في ظِلال القرآن، 1/206، 207.

[39←]
سورة البقرة: آية 216.

[40←]
أبو حيان، تفسير البحر المحيط، 2/143.

[41←]
سورة البقرة: آية 190.

[42←]
سورة البقرة: آية 194.

[43←]
سيد قطب، في ظِلال القرآن، 1/188.

[44←]
محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام، ص 49،50.

[45←]
سورة التوبة: آية 123.

[46←]
القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 4/3233. والطبري، جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن، 11/71، 72. وأبو حيان، تفسير البحر المحيط، 5/115.

[47←]

سورة التوبة: آية 36.

[48←]

علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، المعروف بالخازن، تفسير الخازن وبهامشه البغوي، 2/138.
والرازي، التفسير الكبير وبهامشه تفسير أبو السعود، 1/522.

[49←]

الجامع لأحكام القرآن، 4/3062.

[50←]

سورة الحج: الآيتان 39،40.

[51←]

سورة التوبة: الآيات 29_33.

[52←]

سورة البقرة: آية 256.

[53←]

سيد قطب، في ظِلال القرآن، 3/1620 ،1621.

[54←]

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 4/3036. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 2/347،346.

[55←]

د. بدوي عبد اللطيف، الميزانية الأولى في الإسلام، ص 16،10.

[56←]

سورة االمائدة: الآيتان 82،83.

[57←]

سورة الممتحنة: آية 8.

[58←]

سيد قطب، في ظِلال القرآن، 6/3545.

[59←]

البخاري، الصحيح، 2/827، مسلم، الصحيح، 3/105، محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، 2/200.

[60←]

المرجع نفسه، 2/202.

[61←]

المرجع نفسه، 2/201.

[62←]

إبن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 16/238.

[63←]

الطبراني، المعجم الكبير، 1/208. نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 6/191. وإبن حجر العسقلاني، فتح الباري، 16/238.

[64←]

الزرقاني، شرح المواهب، 3/64. وإبن الأثير، الكامل في التاريخ، 2/189.

[65←]

محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 1/365. والمراغي، تفسير المراغي، 10/118.

[66←]

سورة الإسراء: آية 76.

[67←]

سورة الإسراء: آية 80.

[68←]

إبن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، 1/355، وتهذيب التهذيب، 4/370.

[69←]

السيوطي، أسباب النزول، ص124.

[70←]

إبن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3/53.

[71←]

الدرمك: دقيق الجواري.

[72←]

الواقدي، المغازي، 3/990. وعلي ابن برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، 3/148. وأحمد زيني دحلان، السيرة النبوية، ص 267. والزرقاني، شرح المواهب، 3/64.

[73←]

إبن سعد، الطبقات الكبرى، 2/165. وإبن الأثير، الكامل فى التاريخ، 2/189.

[74←]

محمد حسين هيكل، حياة محمد {ﷺ}، ص 439.

[75←]

سورة التوبة: الآيتان 28،29.

[76←]

الزرقاني، شرح المواهب، 3/64. وابن كثير، البداية والنهاية، 3/5. وأحمد زيني دحلان، السيرة النبوية، 3/218.

[77←]

الغزالي، فقه السيرة، ص 304،305.

[78←]

محمد إسماعيل إبراهيم، سيرة الرسول {ﷺ} ومعالمها من القرآن الكريم والسنة المطهرة، ص 227.

[79←]

محمد فرج، العبقرية العسكرية، ص 637.

[80←]

محمد إسماعيل إبراهيم، سيرة الرسول {ﷺ} ومعالمها من القرآن الكريم والسنة المطهرة، ص 228.

[81←]

للباحث كتاب بعنوان (غزوة مؤتة) قيد النشر.

[82←]

محمد أبو زهرة، خاتم النبيين، 3/253.

[83←]

سورة البقرة: آية 193.

[84←]

محمد أبو زهرة، خاتم النبيين، 3/254.

[85←]

محمد حسين هيكل، حياة محمد {ﷺ}، ص 40.

[86←]

محمد إسماعيل إبراهيم، سيرة الرسول {ﷺ} ومعالمها من القرآن الكريم والسنة المطهرة، ص 228.

[87←]

الغزالي، فقه السيرة، ص 305،306.

[88←]

سورة التوبة: الآيتان 38،39.

[89←]

محمد فرج، العبقرية العسكرية، ص 638،639،640.

[90←]

بعد الشقة: بعد السير. ينظر: إبن هشام، السيرة النبوية، 4/516.

[91←]

الرازي، التفسير الكبير، 4/435 – 436.

[92←]

الطبري، جامع البيان، 9/134.

[93←]

أبو حيان، تفسير البحر المحيط، 5/42. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 2/358.

[94←]

سورة التوبة: آية 39.

[95←]

سورة التوبة: آية 41.

[96←]
القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 4/3075، 3076.

[97←]
سورة الفتح: آية 17.

[98←]
سورة التوبة: آية 91.

[99←]
سورة التوبة: آية 122.

[100←]
القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 4/3076.

[101←]
صحيح البخاري، 6/3.

[102←]
عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشي الزهري، شَهِدَ بَدراً وأُحُداً والمشاهد كلها مع رسول الله {ﷺ}. يُنظر ترجمتهُ في: إبن الأثير، أُسدُ الغابة في معرفة الصحابة، 3/376.

[103←]
علاء الدين بن المتقي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، 10/562، 563.

[104←]
إبن إسحاق، السيرة النبوية، 3/943. وابن حزم، جوامع السيرة، ص 249. أحمد زيني دحلان، السيرة النبوية والآثار المحمدية، ص 267.

[105←]
الضح: الشمس. انظر: إبن هشام، السيرة النبوية، 4/520.

[106←]
محمد حسين هيكل، حياة محمد {ﷺ}، ص 441،440.

[107←]

باشميل، غزوة تبوك، ص 57،56.

[108←]

د. عبد العظيم رمضان، الصراع بين العرب وأوروبا، ص 28.

[109←]

الواقدي، المغازي، 3/990، 991.

[110←]

الحِلْسُ بالكسْرِ: كُلُّ شيءٍ وَلِيَ ظهرَ البعيرِ والدَّابَّةِ تحتَ الرَّحْلِ. والسَّرْجِ والقَتَبِ وهو بمنزلةِ المِرْشَحَةِ تكون تحتَ اللِّبْدِ. وقيل: هو كِساءٌ رَقيقٌ على ظهر البعير يكون تحت البَرْذعَةِ. انظر: المعجم الوجيز، ص 167.

[111←]

المقتب: الرحل الصغير على قدر صنام البعير. ينظر: المعجم الوجيز ، ص 489.

[112←]

البيهقي، دلائل النبوة، 5/214، 215. وابن كثير، البداية والنهاية، 3/978، عدد 22.

[113←]

تحملهُ: نحملهُ. انظر: الصالحي، سبل الهدى والرشاد، 5/630.

[114←]

عقبة: آخر كل شيء. ينظر: المعجم الوسيط، 2/736.

[115←]

الصالحي، سبل الهدى والرشاد، 5/630.

[116←]

مُقْوٍ: أي ذو دابة قوية. ينظر: الواقدي، المغازي، 3/994.

[117←]

سورة التوبة: آية 92.

[118←]

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 4/ 3153.

[119←]

أبي حيان، تفسير البحر المحيط، 5/85.

[120←]

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 3154،4/3153.

[121←]

الزمخشري، الكشاف، 2/208. والبيضاوي، تفسير البيضاوي، 1/294.

[122←]

ابن عبد الله بن قيس. ينظر: صحيح البخاري، 6/2. صحيح مسلم، 5/82.

[123←]

هذين القرينين وهاتين القرينتين. انظر: صحيح البخاري، 6/2.

[124←]

والله إنك . انظر: صحيح البخاري، 6/2.

[125←]

صحيح البخاري، 6/2.

[126←]

إبن حجر العسقلاني، فتح الباري، 8/112.

[127←]

الواقدي، المغازي، 3/993- 994- 995.

[128←]

سالم بن عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة بن عمرو ابن عوف، شَهِدَ العقبة وبَدراً وأُحُداً والمشاهد كلها مع رسول الله {ﷺ}، وتوفي في خلافه معاوية. وهو أحد البكائين. ينظر: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 2/159.

[129←]

جمهور كُتَّاب المغازي والسير، على أنه أحد البكائين، وقد ذكره ابن إسحاق، السيرة النبوية، 3/945. وكذلك الصالحي، سبل الهدى والرشاد، 5/633.

[130←]

هو هَرمي بن عبد الله بن رفاعة بن نجدة بن مجدعة بن عامر بن كعب بن واقف، واسمهُ مالك بن أمرىء القيس وهو مالك بن الأوس الأنصاري الواقفي، وهو أحد البكائين. انظر: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 4/618.

[131←]

عند جمهور كُتَّاب المغازي والسير من البكائين وقد ذكره ابن إسحاق، السيرة النبوية، 3/945. والزرقاني، شرح المواهب، 3/66.

[132←]

عُلْبَة بن زيد بن صيفي بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي الحارثي، من بني حارثة، وهو أحد البكائين. انظر: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 3/577.

[133←]

الزيادة من الزرقاني، شرح المواهب، 3/66.

[134←]

ابن إسحاق، السيرة النبوية، 3/945. والصالحي، سبل الهدى والرشاد، 5/633.

[135←]

عَبْد الرَّحْمَن بْن كعب، أَبُو ليلى الْأَنْصَارِيّ الْمَازِنِي، من بني مازن بْن النجار. شَهِدَ بَدرًا. انظر: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 3/386.

[136←]

جمهور كُتَّاب المغازي والسير على أنهُ أحد البكائين. انظر: إبن إسحاق، السيرة النبوية، 3/945. والزرقاني، شرح المواهب، 3/77. والصالحي، سبل الهدى والرشاد، 5/633.

[137←]

عمرو بن عنمة بن عدي بن نابي بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي السلمي، شَهِدَ بَدراً والعقبة. انظر: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 3/754، 755.

[138←]

الزرقاني، شرح المواهب، 3/66.

[139←]

ذكر الصالحي أنهُ من الذين اتفق عليهم القرطبي، وابن عمرو. ولفظ القرطبي (سلمان)، سبل الهدى والرشاد، 5/634.

[140←]

ابن إسحاق، السيرة النبوية، 3/945.

[141←]

الطبقات، 5/144. الزرقاني، شرح المواهب، 3/66.

[142←]

الواقدي، المغازي، 3/994.

[143←]

بنو مقرن هم: النعمان بن مقرن وأخوته سويد ومعقل وعقيل وسنن وعبد الرحمن وعبد الله. انظر: الزرقاني، شرح المواهب، 3/67.

[144←]

ابن إسحاق، السيرة النبوية، 3/945. والزرقاني، شرح المواهب، 3/66.

[145←]

ذكر إبن الأثير أنهُ إستُشهِدَ يوم أُحُد، انظر: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 3/703.

[146←]

عَبد اللَّه بن مغفل بن عَبْد غنم، وقيل: عَبْد نهم، بن عفيف بن أسحم ابن رَبِيعة بن عداء. انظر ترجمتهُ في: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 3/294 ،295.

[147←]

الزرقاني، شرح المواهب، 3/66.

[148←]

الواقدي، المغازي، 3/994.

[149←]

دلائل النبوة، 5/216- 217.

[150←]

البداية والنهاية، 2/10، عدد 22.

[151←]

سبل الهدى والرشاد، 5/635، 636.

[152←]
سورة التوبة: آية 42.

[153←]
ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 2/360.

[154←]
سورة التوبة: آية 43.

[155←]
سيد قطب، في ظِلال القرآن، 3/1662.

[156←]
أخذهُ الفداء من الأُسارى: أي أُسارى بدر.

[157←]
الزمخشري، الكشاف، 2/192. والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ص 285.

[158←]
علاء الدين بن محمد بن إبراهيم البغدادي، تفسير الخازن، 3/84. والرازي، التفسير الكبير، 4/443.

[159←]
أبو السعود، تفسير أبو السعود، أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 2/757.

[160←]
سورة التوبة: الآيات 45-48.

[161←]
ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 2/361.

[162←]
الطبري، جامع البيان، 10/145.

[163←]
أبو السعود، تفسير أبو السعود، 560-2/561.

[164←]

أبو حيان، تفسير البحر المحيط، 5/48. والزمخشري، الكشاف، 2/129. والمراغي، تفسير المراغي، 2/129.

[165←]
صديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، 4/156.

[166←]
سورة التوبة: الآيتان 53،54.

[167←]
صديق حسن خان، فتح البيان، 4/143.

[168←]
الطبري، جامع البيان، 10/152.

[169←]
سورة التوبة: آية 55.

[170←]
سورة التوبة: آية 49.

[171←]
أبو السعود، تفسير أبي السعود، 2/561.

[172←]
الطبري، جامع البيان، 9/151-152.

[173←]
ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 2/376. والطبري، جامع البيان، 10/202.

[174←]
سورة التوبة: آية 81.

[175←]
سورة التوبة: آية 83.

[176←]
القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 4/3143.

[177←]

تحتقب: تحتمل. ينظر: الواقدي، المغازي، 3/992.

[178←]

بنات الأصفر: بنات الروم. انظر: إبن هشام، السيرة النبوية، 4/516.

[179←]

أي إشترك في غزوة بدر.

[180←]

لُكَع: لئيم. انظر: المعجم الوجيز، ص 564.

[181←]

الواقدي، المغازي، 3/993. وابن إسحاق، السيرة النبوية، 3/944. والزرقاني، شرح المواهب، 3/66. والصالحي، سبل الهدى والرشاد، 5/631-632.

[182←]

الواقدي، المغازي، 2/591.

[183←]

شرذمة: جماعة قليلة. انظر: المعجم الوجيز، ص340.

[184←]

جاسوم: قال الخشني: هو إسم موضع. وقد رُوِيَّ أن النبي {ﷺ} صلى في مسجد راتج، وشرب من بئر جاسوم. وهي بئر هناك لأبي الهيثم بن التيهان. ينظر: السمهودي، وفاء الوفا، 2/62 و131.

[185←]

ابن اسحاق، السيرة النبوية، 3/944-945. ابن هشام، السيرة النبوية، 4/527. والسهيلي، الروضُ الأُنُف، 6/306. وابن حزم، جوامع السيرة، ص 250. والصالحي، سبل الهدى الرشاد، 5/632.

[186←]

ابن هشام، السيرة النبوية، 4/519.

[187←]

الواقدي، المغازي، 3/995.

[188←]

ابن سعد، الطبقات الكبرى، 3/443.

[189←]

البيهقي، دلائل النبوة، 5/219.

[190←]

محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي ثم الحارثي، شَهِدَ بَدراً وأُحُداً والمشاهد كلها مع رسول الله {ﷺ}، إلا تبوك. ومات بالمدينة، ولم يستوطن غيرها. انظر: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 4/336.

[191←]

ابن هشام، السيرة النبوية، 4/519.

[192←]

الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3/103.

[193←]

سباع بن عرفطة الغفاري، إستعملهُ النبي {ﷺ} على المدينة لما خرج إلى خيبر وإلى دومة الجندل، وهو من مشاهير الصحابة. روى عراك بن مالك عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لما خرج رسول الله {ﷺ} إلى خيبر إستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري. انظر: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 2/171.

[194←]

الصالحي، سبل الهدى والرشاد، 5/638.

[195←]

عبد الله بن أم مكتوم الأعمى القرشي العامري. لم يختلفوا أنه من بنى عامر ابن لؤي، واسم أمه: أم مكتوم عاتكة بِنت عَبْد اللَّهِ بن عنكثة بن عَامِر بن مخزوم. واختلفوا فِي اسم أَبِيهِ، فَقَالَ بعضهم: هُوَ عَبْد اللَّهِ بن زائدة بن الأصم، وقال آخرون: هوَ عَبْد اللَّهِ بن قَيْس بن مَالِك بن الأصم بن رواحة بن صخر بن عبد بن معيص ابن عَامِر بن لؤي القرشي العامري، كَانَ قديم الإسلام بمكة وهاجر إِلَى المدينة. كذا سماهُ إبن عبد البر، في الإستيعاب في معرفة الأصحاب، 3/997.

- وأما إبن الأثير، فسماهُ: عَمْرو بن قيس بن زائدة بن الأصم، واسم الأصم جندب بن هرم بن رواحة ابن حجر بن عَبد بن معيص بن عَامِر بن لؤي الْقُرَشِيّ العامري. وهو ابن أم مكتوم الأعمى المؤذن، وأمه أم مكتوم، اسمها: عاتكة بِنْت عَبد اللَّه بن عنكثة بن عَامِر بن مخزوم. وهو ابن خال خديجة بِنْت خويلد، فإن أم خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْها فاطمة بِنت زائدة بن الأصم، وهي أخت قيس. هاجر إِلَى المدينة بعد مصعب بن عمير، وقيل: قدمها بعد بدر بيسير، واستخلفهُ رَسُول اللَّه {ﷺ} عَلَى المدينة ثلاث عشرة مرة فِي غزواته، منها غزوة الأبواء، وبواط، وذو العشيرة، وخروجه إِلَى جهينة فِي طلب كرز بْن جابر، وفي غزوة السويق، وغطفان، وأُحُد، وحمراء الأسد، ونجران، وذات الرقاع. واستخلفه حين سار إِلَى بدر، ثُمَّ رد إليها أبا لبابة واستخلفه عليها، واستخلف

رَسُول اللَّهِ {ﷺ} عُمرًا أيضًا فِي مسيره إِلَى حجة الوداع. وشهد فتح القادسية، ومعه اللواء، وقُتِلَ بالقادسية شهيدًا. وقَالَ الواقدي: رجع من القادسية إِلَى المدينة، فمات، ولم يسمع لَهُ بذكر بعد عُمَر. انظر: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 3/760،761.

- وأما إبن حجر، فسماهُ: عمرو بن أم مكتوم القرشي. ويقال اسمه عبد اللَّه. وعمرو أكثر، وهو ابن قيس بن زائدة بن الأصم. ومنهم من قال عمرو بن زائدة، لم يذكر قيسا، ومنهم من قال قيس بدل زائدة. وقال ابن حبّان: من قال ابن زائدة نسبه لجده، ويقال: كان اسمه الحصين فسمّاه النبيّ {ﷺ}، عبد اللَّه، حكاه ابن حبان. وقال ابن سعد: أهل المدينة يقولون إسمه عبد اللَّه، وأهل العراق يقولون إسمه عمرو. انظر: إبن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، 4/494.

[196←]
الزرقاني، شرح المواهب، 3/70.

[197←]
ثنية الوداع: (بفتح الواو)، سُميت بذلك الإسم لتوديع المصطفى {ﷺ} سرية مؤتة عندها. أو لأن المسافر كان يسافر عندها قديماً. يُنظر: الزرقاني، شرح المواهب، 2/269. ويقول ياقوت: ثنية الوداع: (بفتح الواو)، وهو اسم من التوديع عند الرحيل: وهي ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة، واختلف في تسميتها بذلك، فقيل لأنها موضع وداع المسافرين من المدينة إلى مكة، وقيل لأن النبي {ﷺ} ودع بها بعض من خلفه بالمدينة في آخر خرجاته، وقيل في بعض ثراياه المبعوثة عنه، وقيل الوداع اسم واد بالمدينة، والصحيح أنه اسم قديم جاهلي، سمي لتوديع المسافرين. انظر: ياقوت الحموي، مُعجم البلدان، 2/86.

[198←]
أبو حيان، تفسير البحر المحيط، 5/41.

[199←]
سورة التوبة: آية 117.

[200←]
صديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، 4/212.

[201←]
صحيح البخاري، 6/3.

[202←]
إبن حجر العسقلاني، فتح الباري، 8/18.

[203←]

الواقدي، المغازي، 3/996.

[204←]
المصدر نفسه، 3/1002.

[205←]
المصدر نفسه، 3/1041.

[206←]
باشميل، غزوة تبوك، ص 102.

[207←]
إبن الأثير، الكامل في التاريخ، 3/161، 181،1770. محمد رضا، محمد رسول الله {ﷺ}، ص 302 ،325–331.

[208←]
أُسيد بن الحضير ابن سماك بن عتيك بن أمرىء القيس الأنصاري الأوسي. يكنى: أبا يحيى، بابنه. يحيى، وقيل: أبا عِيسَى، كناه بها النَّبِيّ {ﷺ}، وقيل: كنيته أَبُو عتيك، وقيل: أَبُو حضير، وقيل: أَبُو عمرو. أسلم أُسيد قبل سعد بن معاذ عَلَى يد مصعب بن عمير بالمدينة، وكان إسلامه بعد العقبة الأولى، وقيل الثانية، وكان أَبُو بكر الصديق رضي الله عنه يكرمه ولا يقدم عليه واحدًا. توفي في شعبان سنة عشرين، ودُفِنَ بالبقيع في خلافة عمر رضي الله عنه. ينظر: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 1/111، 112، 113.

[209←]
سماك بن خرشة، وقيل: سماك بن أوس بن خرشة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي، أَبُو دجانة، وهو مشهور بكنيته. شَهِدَ بدرًا وأُحُدًا وجميع المشاهد مع رَسُول اللَّهِ {ﷺ}، وأعطاه رَسُول اللَّهِ سيفه يَوْم أُحُد، استشهد يوم اليمامة بعد ما أبلى فيها بلاءً عظيمًا. انظر: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 2/299.

[210←]
الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام الأنصاري، الخزرجي، السلمي. شَهِدَ المشاهد كلها مع رسول الله {ﷺ}، وتوفي في خلافة عمر رضي الله عنه. انظر: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 1/436.

[211←]
عمارة بن حزم الْأَنْصَارِيّ بن زَيْد بن لوذان بن عَمْرو بن عبد بن عوف بن غنم ابن مالك بن النجار الْأَنْصَارِيّ الخزرجي، ثُمَّ من بني النجار، شَهِدَ المشاهد كلها مع رسول الله {ﷺ} ، وقُتِلَ يوم اليمامة شهيداً. انظر: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 3/634.

[212←]

وجدتَ عَليَّ: غضبتَ عَليَّ.

[213←]

الواقدي، المغازي، 3/995 .

[214←]

د. محمد أبو شهبة، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسُنة، 2/404.

[215←]

الواقدي، المغازي، 3/995.

[216←]

مُقْوٍ: أي ذو دابة قوية.

[217←]

الواقدي، المغازي، 3/995.

[218←]

المصدر نفسه.

[219←]

جوامع السيرة، ص 251.

[220←]

الصالحي، سبل الهدى والرشاد، 5/139.

[221←]

الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3/ 103.

[222←]

قنع رأسهُ: أي غطاهُ، كي لا يَرى.

[223←]

صحيح البخاري، 6/7. رقم (4419).

[224←]

الواقدي، المغازي، 3/1008. وابن الأثير، الكامل في التاريخ، 2/190.

[225←]
أحمد زيني دحلان، السيرة النبوية، ص 269.

[226←]
يوضعون: في الأصل " يعرضون " . أي يحثونها، لتسرع في المشي. ينظر: الواقدي، المغازي، 3/1008.

[227←]
الواقدي، المغازي، 3/1008.

[228←]
الخرص: حزر ما على النخل من الرطب تمراً.

[229←]
الوسق : مكيلة معلومة وهي ستون صاعاً. ابن منظر، لسان العرب، 10/278.

[230←]
البخاري، الصحيح، 2/155. مسلم، الصحيح، 7/61. محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، 3/90.

[231←]
الواقدي، المغازي، 3/1006.

[232←]
الهرس: الأكل الشديد، والدق العنيف، ومنه الهريس والهراس. ينظر: ابن يعقوب، القاموس المحيط، 2/259.

[233←]
الواقدي، المغازي، 3/1006.

[234←]
سهل بن سعد بن مالك بن خَالِد بن ثعلبة بن حارثة بن عَمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي، كان إسمه حَزنا، فسماهُ رسول الله {ﷺ} سَهلا, وتوفي سهل سنة ثمان وثمانين، وهو ابن ست وتسعين سنة، وقيل: توفي سنة إحدى وتسعين، وقد بلغ مائة سنة. ينظر ترجمته في: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 2/320.

[235←]
النضو: المهزول من الحيوان. ينظر: المعجم الوسيط، 2/967.

[236←]

الواقدي، المغازي، 3/1007. وإبن كثير، قصص الأنبياء، ص 131 ،132. وإبن الأثير، الكامل في التاريخ، 3/190. والطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3/105.

[237←]

أحمد زيني دحلان، السيرة النبوية، ص 269.

[238←]

البجاد: الكساء الغليظ. قال إبن هشام: وَإِنَّمَا سُمِّيَ ذَا الْبِجَادَيْنِ، لِأَنَّهُ كَانَ يُنَازِعُ إلَى الْإِسْلَامِ، فَيَمْنَعُهُ قَوْمُهُ مِنْ ذَلِكَ، وَيُضَيِّقُونَ عَلَيْهِ، حَتَّى تَرَكُوهُ فِي بِجَادٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، فَهَرَبَ مِنْهُمْ إلَى رَسُولِ اللَّهِ {ﷺ}، فَلَمَّا كَانَ قَرِيبًا مِنْهُ، شَقَّ بِجَادَهُ بِاثْنَيْنِ، فَاتَّزَرَ بِوَاحِدِ، وَاشْتَمَلَ بِالْآخَرِ، ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ {ﷺ}، فَقِيلَ لَهُ: ذُو الْبِجَادَيْنِ لِذَلِكَ. ينظر ترجمتهُ في: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 2/18.

[239←]

روى البخاري في حديث رقم (2782)، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ لِلنَّبِيِّ {ﷺ} نَاقَةٌ تُسَمَّى العَضْبَاءَ، لاَ تُسْبَقُ، قَالَ حُمَيْدٌ: أَوْ لاَ تَكَادُ تُسْبَقُ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ فَسَبَقَهَا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى المُسْلِمِينَ حَتَّى عَرَفَهُ، فَقَالَ: "حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ". وَالْعَضْبَاءُ: بِفَتْحِ الْمُهْمِلَةِ وَسُكُونِ الْمُعْجَمَةِ بَعْدَهَا مُوَحَّدَةٌ وَمَدٌّ. وهِيَ الْمَقْطُوعَةُ الْأذن أَو المشقوقة. وَقَالَ بن فَارِسٍ: كَانَ ذَلِكَ لَقَبًا لَهَا، لِقَوْلِهِ تُسَمَّى الْعَضْبَاءَ، وَلِقَوْلِهِ: يُقَالُ لَهَا الْعَضْبَاءُ، وَلَوْ كَانَتْ تِلْكَ صِفَتُهَا لَمْ يُحْتَجْ لِذَلِكَ. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: الْعَضْبَاءُ مَنْقُولٌ مِنْ قَوْلِهِمْ نَاقَةٌ عَضْبَاءُ. أَيْ قَصِيرَةُ الْيَدِ. وَاخْتُلِفَ هَلِ الْعَضْبَاءُ هِيَ الْقَصْوَاءُ أَوْ غَيْرُهَا؟ فَجَزَمَ الْحَرْبِيُّ بِالْأَوَّلِ، وَقَالَ: تُسَمَّى العضباء والقصواء والجدعاء. وروى ذَلِك بن سَعْدٍ عَنِ الْوَاقِدِيِّ. وَقَالَ غَيْرُهُ بِالثَّانِي، وَقَالَ: الْجَدْعَاءُ كَانَتْ شَهْبَاءَ، وَكَانَ لَا يَحْمِلُهُ عِنْدَ نُزُولِ الْوَحَيِ غَيْرُهَا. انظر: إبن رجب، فتح الباري، 6/73، 74.

- والمشهور عند الحُفاظ والمؤرخين أن إسم هذه الناقة (القصواء). إشتراها أبو بكر الصديق رضي الله عنههي وأخرى من بني قشير بثمان مائة درهم، وباعها أي -القصواء- لرسول الله {ﷺ}، وماتت في خلافة أبي بكر رضي الله عنه. وكانت مرسلة ترعى بالبقيع. وهذا كما قال الزرقاني، في شرح المواهب. وهو ما قاله الواقدي، وتبعهُ غير واحد من الحفاظ.

(4) الواقدي، المغازي، 3/1009.

(5) بدرياً: أي شَهِدَ بدر. وأضاف الواقدي " وعمارة بن حزم عقبيٌ بدريٌ، قُتِلَ يوم اليمامة شهيداً ". الواقدي، المغازي، 3/1009.

(6) إبن هشام، السيرة النبوية، 2/522، 523. والواقدي، المغازي، 3/1009، 1010.

[240←]

البخاري، الصحيح، 2/539. محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما إتفق عليهِ الشيخان، 3/90 ،91.

[241←]

الواقدي، المغازي، 3/1006.

[242←]

جبلي طي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 6/409.

[243←]

الصالحي، سبل الهدى والرشاد، 5/644، 645. والحلبي، السيرة الحلبية، 3/152. والبيهقي، دلائل النبوة، 5/238، 239.

[244←]

الواقدي، المغازي، 3/1009.

[245←]

عَبد الرَّحْمَن بن عوف بن عَبْد عوف بن عَبْد بن الحارث بن زهرة بن كلاب ابن مرة الْقُرَشِيّ الزُّهْرِيّ، يكنى أبا مُحَمَّد. كَانَ اسمه فِي الجاهلية: عَبْد عَمْرو، وقيل: عَبْد الكعبة، فسماه رَسُول اللَّه {ﷺ} عَبْد الرَّحْمَن. وأمه الشفا بِنْت عوف بن عبد بن الحارث ابن زهرة. وُلِدَ بعد الفيل بعشر سنين، وأسلم قبل أن يدخل دار الأرقم وكان أحد الثمانية الَّذِيْنَ سبقوا إلى الْإِسْلَام، وأحد الخمسة الَّذِيْنَ أسلموا عَلَى يد أَبِي بَكْر، وكان من المهاجرين الأولين، هاجر إِلَى الحبشة، وَإِلى المدينة. وآخى رَسُول اللَّهِ {ﷺ} بينه وبين سعد بْن الربيع. وشَهِدَ بَدراً وأُحُداً والمشاهد كلها مع رَسُول الله {ﷺ}، وبعثه رَسُول اللَّه {ﷺ} إلى دومة الجندل. انظر: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 3/376.

[246←]

الصالحي، سبل الهدى والرشاد، 5/647 ، 648.

[247←]

سورة التوبة: الآيات 64،65،66.

[248←]

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3/367.

[249←]

مخشي بن حمير الأِشجعي. حليف لبني سلمة من الأنصار. ينظر ترجمتهُ في: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 4/350.

[250←]

الحقب: حبل يُشَد به رجل البعير إلى بطنهِ، كي لا يَتقدم إلى كامله. ينظر: المعجم الوجيز، ص 162.

[251←]

إبن إسحاق، السيرة النبوية، 3/950، 951.

[252←]

إبن كثير، تفسير القرآن العظيم، 2/367. وسيد قطب، في ظِلال القرآن، 3/1672.

[253←]
المغازي، 3/1004.

[254←]
مالك بن قيس بن خيثمة. قَالَ ابن شاهين: (أَبُو خيثمة) مالك بن قيس بن ثعلبة بن العجلان بن زَيْد بن غنم بن سالم ابن عَمْرو بن عوف بن الخزرج. شَهِدَ أُحُداً والمشاهد كلها مع رَسُول اللَّهِ {ﷺ}، وتخلف عَنِ الخزرج مع رَسُول اللَّهِ {ﷺ} إِلَى تبوك عشرة أيام، ثُمَّ لحقه. انظر: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 4/270.

[255←]
الصالحي، سبل الهدى والرشاد، 5/444.

[256←]
المسند، 3/37. ابن كثير، البداية والنهاية، 3/18، عدد 22.

[257←]
عقبة بن عَامِر بن عبس بن عَمْرو بن عدي بن عَمْرو بن رفاعة بن مودوعة بن عدي بن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهني ، يكنى أبا حَمَّاد، وقيل: أَبُو لبيد. ينظر: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 3/550.

[258←]
عوازمها: الفرائض التي أوجبها الله. انظر: إبن كثير، البداية والنهاية، 3/18، عدد 22.

[259←]
هجرا: هو الخنا والقبيح من القول. انظر: الواقدي، المغازي، 3/1016.

[260←]
يتألى على الله: يُقسِم عليه. ينظر: إبن كثير، البداية والنهاية، 3/19، عدد 22.

[261←]
البيهقي، دلائل النبوة، 241،5/242.

[262←]
إبن كثير، البداية والنهاية، 3/18، عدد 22.

[263←]
باشميل، غزوة تبوك، ص 148.

[264←]

الواقدي، المغازي، 3/1016، 1017. والصالحي، سبل الهدى والرشاد، 5/651.

[265←]

الزيادة من باشميل، غزوة تبوك، ص 149.

[266←]

الفدادون: بتشديد الدال، جمع فداد، وهو من الفديد، وهو الصوت الشديد، فهم الذين تعلوا أصواتهم في إبلهم، وخيلهم، وحروثهم، ونحو ذلك. انظر: الواقدي، المغازي، 3/ 1017.

[267←]

الواقدي، المغازي، 3/1017.

[268←]

باشميل،غزوة تبوك، ص 139.

[269←]

عَبَّاد: بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة، بن بِشر: بكسر الموحدة. ينظر: الصالحي، سبل الهدى والرشاد، 5/652. وينظر ترجمتهُ في: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 3/46.

[270←]

سِلْكان: بكسر السين المهملة، وسكون اللام. انظر: الصالحي، سبل الهدى والرشاد، 5/652. وانظر ترجمتهُ في: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 2/262.

[271←]

الصالحي، سبل الهدى والرشاد، 5/652.

[272←]

الخفة: أي السرعة. ينظر: المعجم الوجيز، ص 611.

[273←]

النزق: الخفة والطيش في كل أمر. انظر: المعجم الوجيز، ص 611.

[274←]

الواقدي، المغازي، 3/1021.

[275←]

رافع بن خديج بن رافع بن عدي بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي الحارثي. ينظر ترجمتهُ في: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 2/38.

[276←]

قرمنا إلى اللحم: إذا اشتهيناه. انظر: الواقدي، المغازي، 3/1035.

[277←]

الواقدي، المغازي، 3/1035، 1036.

[278←]

دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزج بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زَيْد اللات بن رفيدة بن ثور ابن كلب بن وبرة، الكلبي. صاحب رَسُول اللَّهِ {ﷺ}. شَهِدَ أُحُدًا وما بعدها، وكان جبريل يأتي النَّبِيّ {ﷺ} في صورته أحياناً، وبعثهُ رَسُول اللَّه {ﷺ} إلَى قيصر رسولاً سنة ست في الهدنة، فآمن به قيصر، وامتنع عليه بطارقته، فأخبر دحية رَسُول اللَّهِ {ﷺ} بذلك، فقال: ثبت اللَّه ملكه. انظر: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 2/6.

[279←]

المسند، 1/262. الزرقاني، شرح المواهب، 3/78.

[280←]

مسند الإمام أحمد بن حنبل، وبهامشهِ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، 3/441، 442.

[281←]

في نسخة رأيت.

[282←]

في نسخة بمصر.

[283←]

فُنِّد: بضم الفاء وتشديد النون المكسورة مبنيًا للمجهول، بمعنى: قد نسب إلى الفَنَد (بفتحتين)، وهو العجز، والخرف وإنكار العقل من الهرم والمرض .

[284←]

رفأهم: أي أسكتهم، وأصلح بينهم. ينظر: إبن كثير، البداية والنهاية، 3/21، عدد 22.

[285←]

سورة القصص: آية 56.

[286←]

إبن كثير، البداية والنهاية، 3/21، 22.

[287←]

إبن سعد، الطبقات الكبرى، 1/258، 259.

[288←]

السهيلي، الروض الأنف، 7/398. الصالحي، سبل الهدى والرشاد، 5/660.

[289←]

برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، 3/148. والواقدي، المغازي، 3/990. والسيد أمير علي، روح الإسلام، ص 188. وأحمد زيني دحلان، السيرة النبوية والآثار المحمدية، ص 270، 271.

[290←]

إبن سعد، الطبقات الكبرى، 2/165.

[291←]

سورة آل عمران: آية 151.

[292←]

صحيح البخاري، 4/54. حديث رقم (2977).

[293←]

صحيح البخاري، 7/130.

[294←]

الصالحي، سبل الهدى والرشاد، 5/664.

[295←]

د. أسد رستم، الروم وصِلاتهم بالعرب، 1/230. و د. السيد الباز، الدولة البيزنطية، ص 119.

[296←]

الصالحي، سبل الهدى والرشاد، 5/663. ومحمد إسماعيل، سيرة الرسول {ﷺ} ومعالمها من القرآن الكريم والسُنة المطهرة، ص 229. ومحمد أبو شهبة، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسُنة، 2/409.

[297←]

دومة الجندل: وهي على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول {ﷺ}. وقال أبو سعد: دومة الجندل في غائط من الأرض خمسة فراسخ. ينظر: ياقوت الحموي، مُعجم البلدان، 2/487.

[298←]

محمد حسين هيكل، حياة محمد {ﷺ}، ص 444.

[299←]

باشميل، غزوة تبوك، ص 166.

[300←]

المطارد: جمع المطرد، وزن منبر، وهو رمح قصير يطرد به، وقيل يطرد به الوحش. ينظر: الواقدي، المغازي، 3/1026.

[301←]

الواقدي، المغازي، 3/1025، 1026.

[302←]

في الزرقاني، " فرس "، شرح المواهب، 3/78.

[303←]

والصحيح أن خالد قَدِم بأكيدر على رسول الله {ﷺ} وهو بتبوك، وعقد له الصلح بها ، فلم يغادرها إلا بعد أن أخضع جميع الجيوب الشمالية النصرانية، كما أن الحذر يوجب عدم مغادرة الرسول {ﷺ} لتبوك، وخالد وجندهُ قريبين من العدو.

[304←]

الواقدي، المغازي، 3/1026، 1027، 1028.

[305←]

الضاحية: أطراف الأرض. انظر: الواقدي، المغازي، 3/1030.

[306←]

الضحل: الذي فيه الماء القليل. انظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، 1/546.

[307←]

البور: ما ليس فيه زرع. انظر: الزبيدي، تاج العروس، 10/253.

[308←]

المعامي: ما ليس لهُ حدود معلومة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، 15/98.

[309←]

أغفال الأرض: مياه. انظر: لسان العرب، 2/969.

[310←]

الحافر: الخيل. انظر: لسن العرب، 2/925.

[311←]

الضامنة من النخل: النبات من النخل التي قد نَبتَت عروقها في الأرض. انظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، 1/81.

[312←]

المعين: الماء الظاهر. انظر: الفراهيدي، العين، 2/255.

[313←]

فاردتكم: أي لا يعد ما يبلغ أربعين شاة. انظر: لسن العرب، 300/1230.

[314←]

لا يحظر عليكم النبات: لا تمنعوا أن تزرعوه. انظر: الواقدي، المغازي، 1030.

[315←]

البتات: المتاع ليس عليه زكاة. انظر: الفراهيدي، العين، 8/110.

[316←]

الواقدي، المغازي، 3/1030.

[317←]

صحيح البخاري، 3/163. حديث رقم (2615)، وحديث رقم (2616). كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، (باب قبول الهدية من المشركين).

[318←]

الواقدي، المغازي، 3/1030. والزرقاني، شرح المواهب، 3/78.

[319←]

البلاذري، فتوح البلدان، ص 73.

[320←]

باشميل، غزوة تبوك، ص 175.

[321←]
أَيْلَة: على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام، وقال أبو المنذر: سُميت بأَيْلَة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام. انظر: ياقوت الحموي، مُعجم البلدان، 1/292.

[322←]
البلاذري، فتوح البلدان، ص 71.

[323←]
الواقدي، المغازي، 3/1031.

[324←]
والصحيح أنهُ قَدِمَ من تلقاء نفسهُ، ولم يبعث إليه رسول الله {ﷺ}.

[325←]
التكفير: إيماء الذمي برأسه، والتكفير لأهل الكتاب أن يُطأطئ أحدهم رأسه لصاحبه، كالتسليم عندنا. ينظر: الواقدي، المغازي، 3/1031.

[326←]
اليُمْنَةً: بُردة من برود اليمن. انظر: الواقدي، المغازي، 3/1032.

[327←]
الواقدي، المغازي، 3/1031، 1032.

[328←]
صحيح البخاري، 3/163.

[329←]
زاد الخلفاء من بني أمية على حسب الزيادة في عدد من تجب عليهِ الجزية من أهل أَيْلَة. وفي عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه رأى التآسي برسول الله {ﷺ}، فلم يأخذ من أهل أَيْلَة، إلا ما أخذهُ رسول الله {ﷺ} منهم.

[330←]
إبن الأثير، الكامل في التاريخ، 2/191.

[331←]

أَذْرُحَ: بالفتح ثم السكون وضم الراء، وهو جمع ذريح، وذريحة جمعها الذرائح، وهو إسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة، ثم من نواحي البلقاء. وفي كتاب مسلم بن الحجاج: بين أذرح والجرباء ثلاثة أيام. انظر: ياقوت الحموي، مُعجم البلدان، 1/129.

[332←]

الجَرْبَاء: موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام، قرب جبال السراة من ناحية الحجاز، وهي قرية من أذرح التي تقدم ذكرها، وبينهما كان أمر الحكمين بين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري. انظر: ياقوت الحموي، مُعجم البلدان، 2/118.

[333←]

إبن كثير، البداية والنهاية، 3/23، عدد 22.

[334←]

الواقدي، المغازي، 3/1032.

[335←]

مَقْنا: قرب أَيْلة. ينظر: ياقوت الحموي، مُعجم البلدان، 5/178.

[336←]

فتوح البلدان، ص 71، 72.

[337←]

يقول الراجي رحمة ربهِ، محمد بن أحمد بن عساكر أنهُ كذا في الأصل مضبوط، ما صورتهُ في آخر الكتاب، وكتب علي بن أبي طالب في سنة تسع، وكذا الحكاية عن جملة الكتب التي بيد اليهود؛ منسوبةً إلى خط علي رضي الله عنه، وفي هذا نظر لذي فهم يتأمله يبين = = لهُ، أن هذا الكتاب مفتعل، والدليل عليه من وجهين. أحدهما، أن علياً رضي الله عنه هو الذي إخترع الكلام في علم النحو؛ خشيةً من إختلاط كلام العرب بكلام النبط، فما كان رضي الله عنه ليخشى من شيءٍ، أو يعتمد ما يؤدي إلى الإلتباس. والثاني: أن صُلح رسول الله {ﷺ} لأهل مَقْنا، إنما كان في غزوة تبوك على ما هو مذكور في هذا الكتاب، ولا خِلاف في أن علياً لم يكن مع النبي {ﷺ} في غزوة تبوك. فكيف يُنسَب هذا الكتاب إليهِ!. وفي هذا كفاية. ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص 71.

[338←]

الواقدي، المغازي، 3/1032.

[339←]

د. علي محمد الصلابي، السيرة النبوية، ص 996.

[340←]

الصالحي، سبل الهدى والرشاد، 5/463.

[341←]

إبن سعد، الطبقات الكبرى، 2/127.

[342←]

إبن هشام، السيرة النبوية، 2/527.

[343←]

سورة المائدة: آية 67.

[344←]

الحاكم، المستدرك على الصحيحين، 2/342. حديثٌ صحيح، ووافقهُ الذهبي.

[345←]

عَقَبَة: بالتحريك، وهو الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه، وهو طويل صعب إلى صعود الجبل. انظر: ياقوت الحموي، مُعجم البلدان، 4/134.

[346←]

حذيفة بن اليمان، وهو حذيفة بن حسل، ويقال: حسيل، بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جروة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان، أَبُو عَبْد اللَّهِ العبسي، واليمان لقب حسل بن جابر. هاجر إِلَى النَّبِيّ {ﷺ}، فخيرهُ بين الهجرة والنُصرة، فاختارَ النُصرة، وشَهِدَ مع النَّبِيّ {ﷺ} أُحُدًا، وقُتِلَ أبوهُ بها، ويذكر عند اسمه. وهو صاحب سر رسول الله {ﷺ} في المنافقين، لم يعلمهم أحد إلا حذيفة، أعلمهُ بهم رسول الله {ﷺ}، وسألهُ عمر: أفي عُمالي أحد من المنافقين؟ قال: نعم، واحد، قال: من هو؟ قال: لا أذكره. قال حذيفة: فعزلهُ، كأنما دُلَّ عليه، وكان عمر إذا مات ميت يسأل عَنْ حذيفة، فإن حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر، وَإن لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر. وقيل: لما حضرهُ الموت قال: هذه آخر ساعة من الدنيا، اللَّهمّ، إنك تعلم أني أحبك، فبارك لي في لقائك ثم مات. وكان موتهُ بعد قتل عثمان بأربعين ليلة، سنة ست وثلاثين. انظر: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 1/468، 469.

[347←]

عمار بن ياسر بن عَامِر بن مَالِك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم ابن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عَامِر الأكبر بن يام بن عنس بن مالك بن أدد بن زَيْد بن يشجب المذحجي ثم العنسيّ، أبو اليقظان. وهو من السابقين الأولين إِلَى الْإِسْلَام، وهو حليف بني مخزوم. وأمه سمية، وهي أول من استشهد فِي سبيل اللَّه عزَّ وجلَّ، وهو وأبوه وأمه من السابقين. وكان إسلام عمار بعد بضعة وثلاثين. وهو ممن عُذِبَّ فِي اللَّه. وقَالَ الواقدي وغيره من أهل العلم بالنسب والخبر: إن ياسرًا والد عمار عرني قحطاني مذحجي من عنس، إلا أن ابنه عمارًا مَوْلَى لبني مخزوم، لأن أباه ياسرًا تزوج أمة لبعض بني مخزوم، فولدت لَهُ عمارًا. ومن مناقبهُ أَنَّهُ أول من بنى مسجدًا فِي الْإِسْلَام. قُتِلَ يوم صفين وكان عمره يومئذ أربعًا وتسعين سنة، وقيل: ثلاث وتسعون، وقيل: إحدى وتسعون. ينظر: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 3/626، 627، 630، 631.

[348←]

مِحْجَنٌ: كل شيء معوج الرأس كالصولجان.

[349←]

ابن القيم، زاد المِعاد، 3/477، 478.

[350←]

الأنساع: جمع نسعة، وهي سير مضفور يُجعَل زِماماً للبعير وغيره.

[351←]

أي في ولد النبيت، واسمه عَمْرو بن مالك بن الأوس. وهو من بني عَبْد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج ابن النبيت. أنظر: البلاذري، أنساب الأشراف، 1/ 287.

[352←]

أي قَرَّ قرارهُ واستقام.

[353←]

المغازي، الواقدي، 1043، 1044.

[354←]

سورة التوبة: آية 74.

[355←]

أبو عامر: يُنظر الحديث عنهُ لاحقاً، في قصة (مسجد الضِرار)، ص 99 وما بعدها.

[356←]

إبن القيم، زاد المِعاد، 3/479.

[357←]

الوشل: حجر أو جبل يقطر منه الماء قليلاً قليلاً، والوشل أيضاً: القليل من الماء.

[358←]

نضحهُ: أي رشهُ.

[359←]

الصالحي، سبل الهدى والرشاد، 5/464، 465. والواقدي، المغازي، 3/1039.

[360←]

دعمتهُ: أي أسندتهُ.

[361←]

التعريس: نزول المسافر آخر الليل؛ نزلةً للنوم والإستراحة.

[362←]

الركوة: إناء صغير من جلد، يُشرب فيهِ الماء.

(2) الواقدي، المغازي، 3/1040.

(3) إبن رجب، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 5/114، 115.

[363←]

إبن رجب، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، 5/115.

[364←]

صحيح، أخرجهُ البخاري، 4/26، كتاب الجهاد والسير، (باب من حبسهُ العذر عن الغزو). رقم (2838). الطبقات الكبرى، 2/127.

[365←]

أخرجه مسلم، 3/1518، كتاب الإمارة، (باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر)، رقم (1911).

[366←]

أَيْ مِنْ أَسْمَاء المدينة " طَابَةُ "، وَفِي بَعْضِهَا " طَيْبَةُ "، وَرَوَى مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ مَرْفُوعًا أَنَّ اللَّهَ سَمَّى الْمَدِينَةَ طَابَةَ. وعنْ شُعْبَةَ عَنْ سِمَاكٍ، قال: كَانُوا يُسَمُّونَ الْمَدِينَةَ " يَثْرِبَ "، فَسَمَّاهَا النَّبِيُّ {ﷺ} ، " طَابَةَ ". بِمَعْنًى: اشْتِقَاقُهُا مِنَ الشَّيْءِ الطَّيِّبِ، وَقِيلَ لِطَهَارَةِ تُرْبَتِهَا وَقِيلَ لِطِيبِهَا لِسَاكِنِهَا، وَقِيلَ مِنْ طِيبِ الْعَيْشِ بِهَا، وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: وَفِي طِيبِ تُرَابِهَا وَهَوَائِهَا دَلِيلٌ شَاهِدٌ عَلَى صِحَّةِ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ. لِأَنَّ مَنْ أَقَامَ بِهَا يَجِدُ مِنْ تُرْبَتِهَا وَحِيطَانِهَا رَائِحَةً طَيِّبَةً لَا تَكَادُ تُوجَدُ فِي غَيْرِهَا. وَكَذَلِكَ الْعُودُ وَسَائِرُ أَنْوَاعِ الطِّيبِ. وَلِلْمَدِينَةِ أَسْمَاءٌ غَيْرُ. فعن زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ {ﷺ} لِلْمَدِينَةِ عَشْرَةُ أَسْمَاءٍ، هِيَ: الْمَدِينَةُ وَطَابَةُ وَطَيْبَةُ وَالْمُطَيَّبَةُ وَالْمِسْكِينَةُ وَالدَّارُ وَجَابِرَةُ وَمَجْبُورَةُ وَمُنِيرَةُ وَيَثْرِبُ. قال الزبير: سَمَّى اللَّهُ الْمَدِينَةَ الدَّارَ وَالْإِيمَانَ. وَقال عَبْدِ الْعَزِيزِ الدَّرَاوَرْدِيّ: بَلَغنِي أن لَهَا أَرْبَعِينَ إسْماً. انظر: إبن حجر، فتح الباري، 4/88، 89.

[367←]

قَالَ السُّهَيْلِيُّ: سُمِّيَ أُحُدًا لِتَوَحُّدِهِ وَانْقِطَاعِهِ عَنْ جِبَالٍ أُخْرَى هُنَاكَ، أَوْ لِمَا وَقَعَ مِنْ أَهْلِهِ مِنْ نَصْرِ التَّوْحِيدِ. ينظر: إبن حجر، فتح الباري، 7/377، 378.

[368←]

المسند، 5/424. أخرجه البخاري، 8/125، رقم (4422). ومسلم في الحج (503). والبيهقي، في الدلائل، 5/ 266. ينظر: الصالحي، سبل الهدى والرشاد، 5/469.

[369←]
صحيح البخاري، 3/21، رقم (1872)، كتاب فضائل المدينة. (باب المدينة طابة).

[370←]
أخرجه البخاري، 8/125، رقم (4422). ومسلم في الحج (503). والبيهقي، في الدلائل، 5/ 266. ينظر: الصالحي، سبل الهدى والرشاد، 5/469.

[371←]
صحيح البخاري، 5/103، رقم (4083)، كتاب المغازي. (باب أُحُد يُحِبُنا ونُحِبهُ).

[372←]
تُنظر قصتهُ في: إبن هشام، السيرة النبوية، 2/529. والواقدي، المغازي، 3/1045. وابن القيم، زاد المِعاد، 3/480. والصالحي، سبل الهدى والرشاد، 5/470. والبلاذري، أنساب الأشراف، 1/282.

[373←]
أَوَانٌ: بالفتح. قال ابن إسحاق في ذكر غزوة تبوك: "ثمّ أقبل رسول الله {ﷺ}، حتى نزل بذي أوان، ويقال: ذات أوان، وكان بلداً بينهُ وبين المدينة ساعة من النهار". انظر: ياقوت الحموي، مُعجم البلدان، 1/275.

[374←]
إبن هشام، السيرة النبوية، 2/529.

[375←]
سورة التوبة: الآيتان 107، 108.

[376←]
أبو عامر عَبْد عَمْرو بْن صيفي بْن النعمان، من الأوس. وكان يناظر أهل الكتاب، ويميل إلى النصرانية، ويتتبع الرهبان ويألفهم، ويُكثر الشخوص إلى الشام، فسُمّي الراهب. فلما ظهر أَمَرَ رَسُول اللَّه {ﷺ}، حسده، ومرّ إلى مكَّة وقاتل مع قريش. ثم أتى الشام، فمات هناك. فتخاصم فِي ميراثه كنانةُ بْن عبد يا ليل الثقفي، - وكان ممن حسد رسول الله {ﷺ} فشخص إلى الشام -، وعلقمةُ بْن عُلاثة، وكان بالشام أيضًا، وكان مسلمًا، وَيُقَالُ: بل كَانَ مشركًا ثُمَّ إنه أسلم حين قدم، فأتى رَسُولَ اللَّه {ﷺ}، فبايعه. وقَالَ الهيثم بْن عدي: كَانَ أَبُو عامر يهمّ بادّعاء النبوة. فلما ظهر أمرُ رَسُول اللَّه {ﷺ} وهاجر، حسدهُ فهرب إلى مكَّة فقاتل، ثُمَّ أتى الشام. وقَالَ الواقدي: هرب أَبُو عامر إلى مكَّة، فكان يقاتل مَعَ المشركين. فلما فُتحت مكَّة، هرب إلى الطائف. فلما أسلموا، هرب إلى الشام. فدفع ميراثه إلى كنانة ابن عبد يا ليل الثقفي، وكان ممن هرب أيضاً. انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، 1/281، 282.

[377←]
الواقدي، المغازي، 3/1046.

[378←]
الواقدي، المغازي، 3/1045.

[379←]
تفسير إبن كثير، 2/388. – بتصرُفٍ يسير –.

[380←]
إبن القيم، زاد المِعاد، 3/480، 481.

[381←]
معن بن عدي بن الجد بن العجلان بن ضبيعة بن حارثة بن ضبيعة بن حرام بن جعل بن عَمْرو بن جشم بن ودم بن ذبيان بن هميم بن ذهل بن هني بن بلي البلوي، حليف بني عَمْرو بن عوف، أخو عَاصِم بن عدي. شَهِدَ العقبة، وبَدْراً، وأُحُداً، والخندق، وسائر المشاهد كلها مع رَسُول اللَّهِ {ﷺ}. لا عَقِبَ لَهُ، وَكَانَ رسول الله {ﷺ} قد آخى بينه وبين زيد بْن الخطاب، فقُتِلا جَميعاً يَوْم اليمامة، فِي خلافة أَبِي بكر رضي الله عنه. وحينَ مات رسول الله {ﷺ} بكى الناس عليه وقالوا: والله لوددنا أنا متنا قبله، نخشى أن نُفتَن بعده. فقال معن بْن عدي: لكني والله ما أحب أن أموت قبله، لأصدقهُ ميتاً كما صدقتهُ حياً. انظر: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 4/462.

[382←]
عاصم بن عدي بن الجد بن العجلان بن حارثة بن ضبيعة بن حرام بن جعل بن عمرو بن ودم بن ذبيان بن هميم بن ذهل بن بلي البلوي حليف بني عبيد بن زيد، من بني عمرو بن عوف، من الأوس من الأنصار، يكنى أبا عَبْد اللَّهِ، وقيل: أَبُو عمر، وَأَبُو عمرو، وهو أخو معن بن عدي، وكان سيد بني العجلان. شَهِدَ بَدرًا، وأُحُدًا، والخندق، والمشاهد كلها مع رَسُول اللَّهِ {ﷺ}. وقيل: لم يشهد بدرًا بنفسه، لأن رَسُول اللَّهِ رده من الروحاء، واستخلفه عَلَى العالية من المدينة. قاله مُحَمَّد بْن إِسْحَاق، وابن شهاب، وضرب له رَسُول الله {ﷺ} بسهمه وأجره. وهو الذي سأل رَسُول اللَّهِ {ﷺ} لعويمر العجلاني، فنزلت قصة اللعان، وهو والد أَبِي البداح بْن عاصم. وتوفي سنة خمس وأربعين، وقد عاش مائة سنة وخمس عشرة سنة، وقيل: عاش مائة سنة وعشرين سنة. انظر: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 3/10، 11.

[383←]
الدلائل، 5/263. الواقدي، المغازي، 3/1046.

[384←]
سورة التوبة: آية 109.

[385←]

الصالحي، سبل الهدى والرشاد، 5/471.

[386←]
فتح الباري، 7/412.

[387←]
ثعلبة بن حاطب ابن عَمْرو بن عُبَيْد. ومعتب بن قشير. ذكرهما البلاذري: انهما من منافقي الأوس. فقال: وكان ممن بنى مسجد الضِرار ثعلبة ومعتب، وهما اللذان } عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ {. سورة التوبة: آية 75. انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، 1/276.

[388←]
ابن هشام، 2/551. إبن القيم، زاد المِعاد، 3/481.

[389←]
وكان يعرف بحمار الدار. كما ذكر السُهيلي، الروضُ الأُنف، 2/322.

[390←]
يُنظر الحديث عنهم في: البلاذري، أنساب الأشراف، 1/275، 276، 277. (المنافقون من الأوس).

[391←]
الواقدي، المغازي، 3/1047.

[392←]
الواقدي، المغازي، 3/1048.

[393←]
أَبُو لبابة: واسمه زيد بن المنذر، من بني قريظة، إبتاعهُ رَسُول اللَّه {ﷺ}، وهو مكاتب، فأعتقهُ. وهو الَّذِي روى عَن رَسُول اللَّه {ﷺ}: (من قَالَ: "أستغفر اللَّه الَّذِي لا إله إلا هُوَ الحي القيوم وأتوب إِلَيْهِ"، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، ولو كان فَرَّ من الزحف). وإبنهُ يسار بن زيد. انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، 1/483.

[394←]
أي غيرُ مَطعونٍ في دينهِ؛ مُتَهمٌ بالنِفاق.

[395←]
أي لم ترخم عليهِ للتفريخ.

[396←]

الواقدي، المغازي، 3/1047.

[397←]
قُبَاءٍ: بِضَمِّ الْقَافِ ثُمَّ مُوَحَّدَةٍ مَمْدُودَةٍ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ اللُّغَةِ. وَفِي الْمَطَالِعِ: هُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ. وَقَالَ يَاقُوتُ: عَلَى مِيلَيْنِ عَلَى يَسَارِ قَاصِدِ مَكَّةَ. وَهُوَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ. وَسُمِّيَ بِاسْمِ بِئْرٍ هُنَاكَ. وَهُوَ مَسْجِدُ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ. وَهُوَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ أَسَّسَهُ رَسُولِ اللَّهِ {ﷺ}. انظر: إبن حجر، فتح الباري، 3/68، 69.

[398←]
مجموع فتاوى ورسائل العثيمين -رحمهُ الله-، 9/226، 227. – بتصرُفٍ يسير –.

[399←]
قمتُ بتقسيم المخلفون عن الغزوة بطريقة مشابهة لطريقة الدكتور علي محمد الصلابي، السيرة النبوية، ص 996.

[400←]
سورة التوبة: الآيتان 91، 92.

[401←]
سورة التوبة: آية 102.

[402←]
سورة التوبة: آية 106.

[403←]
سورة التوبة: آية 118.

[404←]
سورة التوبة: آية 90.

[405←]
سورة التوبة: الآيات 81، 82، 83.

[406←]
كعب بن مَالِك: بن أَبِي كعب، واسم أَبِي كعب: عَمْرو بن القين بن سواد ابن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن عليّ الأنصاري الخزرجي السلمي، يكنى: أبا عَبْد اللَّه. وقيل: أَبُو عَبْد الرَّحْمَن. أمهُ: ليلى بِنت زَيد بن ثعلبة، من بني سَلَمة أيضًا. شَهِدَ العقبة، وأُختُلِفَ فِي شهودهِ بَدرًا، والصحيح أَنَّهُ لم يشهدها. ولما قَدِمَ رَسُول اللَّهِ {ﷺ} المدينة، آخى بينه وبين طلحة بن عُبَيْد اللَّه؛ حين آخى بين المهاجرين والأنصار. ولم يتخلف عَنْ رَسُول اللَّهِ {ﷺ} إلا فِي

غزوة بدر وتبوك، أما بدر فلم يعاتب رسول الله {ﷺ} فيها أحدًا تخلف، للسرعة، وأمَّا تبوك فتخلف عَنْهَا لشدة الحر. أنظر: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 4/187، 188.

[407←]

مرارة - بزيادة هاء-، هُوَ: مرارة بن الربيع، وقيل: ابن ربيعة الأنصاري العمري، من بني عَمْرو بن عوف، قاله أَبُو عُمَر. وقَالَ هِشَام بن الكلبي: هُوَ مرارة بن ربعي بن عدي بن زيد بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس. شَهِدَ بَدراً، وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عَنْ رَسُول اللَّهِ {ﷺ} فِي غزوة تبوك، فنزل القرآن فِي شأنهم (وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا). انظر: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 4/358.

[408←]

هلال بن أمية بن عَامِر بن قيس بن عبد الأعلم بن عَامِر بن كعب بن واقف. وإسمهُ مالك بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس الأنصاري الواقفي. شَهِدَ بَدرَاً وأُحُداً، وَكَانَ قديم الإسلام، كَانَ يكسر أصنام بني واقف، وكانت معهُ رايتهم يوم الفتح. وأمهُ: أنيسة بنت هدم، أخت كلثوم بن الهدم الَّذِي نزل عَلَيْهِ النَّبِيَّ {ﷺ} لَمَّا قَدِمَ المدينة مهاجراً. وهو الَّذِي لاعن امرأته ورماها بشريك بن سحماء. وهو أحد الثلاثة الَّذِينَ تخلفوا عن غزوة تبوك. انظر: إبن الأثير، أُسدُ الغابة، 4/630، 631.

[409←]

أبو فارس، الصراع مع الصليبيين، ص 187.

[410←]

ليلة العقبة: الليلة التي بايع رسول الله {ﷺ} الأنصار على الإسلام.

[411←]

تفارط الغزو: تقدم الغزاة وسبقوا وفاتوا.

[412←]

والنظر في عطفيه: أي جانبيه، وهو إشارة إلى إعجابه بنفسهِ ولباسهِ.

[413←]

مُبيضاً: لابس البياض.

[414←]

يزول به السراب: يتحرك وينهض، والسراب ما يظهر للإنسان.

[415←]

لمزهُ المنافقون: عابوهُ واحتقروهُ.

[416←]

توجه قافلاً: راجعاً.

[417←]

حضرني بثي: حزني.

[418←]

أظل قادماً: أقبلَ ودنا قدومهُ، كأنهُ أبقى على ظِلِه.

[419←]

زاحَ: أزالَ.

[420←]

أَجْمَعْتُ صِدقَهُ: عزمتُ على صِدقَهُ.

[421←]

أُعطِيتُ جَدلاً: فصاحةً وقوةً في الكلام وبراعة.

[422←]

ليُوشِكَنَّ: ليُسرِعَنَّ.

[423←]

تجد عَليَّ فيه: تغضب.

[424←]

إنيّ لأرجو عقبى الله: يعقبني خيراً ويثيبني عليه.

[425←]

يؤنبونني: يلومونني أشد اللوم.

[426←]

استكانا: خضعا.

[427←]

أشبَّ القوم وأجلدهُم: أي أصغرهم سِناً وأقواهم.

[428←]

أنشِدكَ بالله: أسألكَ بالله.

[429←]

نبط أهل الشام: فلاحو العجم.

[430←]

مضيعة: يعني أنك لست بأرض يضيع فيها حقك.

[431←]

فتيامَمتُ: تيممتُ: قصدتُ.

[432←]

فسجرتها: أحرقتها.

[433←]

استلبثَ الوحي: أبطَأَ.

[434←]

أوفى على سلع: صعدهُ وارتفع عليه. وسلع: جبل بالمدينة معروف.

[435←]

فآذنَ: أي أعلَمَهُم.

[436←]

أتأمم: أي أقصد.

[437←]

فوجاً فوجاً: الفوج: الجماعة.

[438←]

أَنْخَلِعَ من مالي: أتَصَدَقُ به.

[439←]

أبلاهُ الله: أنعَمَ عليه.

[440←]

سورة التوبة: الآيات 117، 118، 119.

[441←]

سورة التوبة: الآيتان 95، 96.

[442←]

سورة التوبة: آية 118.

[443←]

إرجاؤهُ أمرنا: تأخيرهُ أمرنا.

[444←]

صحيح البخاري، 6/3، رقم (4418)، كتاب المغازي، (باب حديث كعب بن مالك).

[445←]

سورة الحشر: آية 10.